

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

المركز الجامعي بالوادي

قسم التاريخ

معهد العلوم الاجتماعية و الإنسانية

الصراع المرابطي الموحد

- خلفياته و تداعياته -

( 510 هـ - 558 هـ / 1116 م - 1163 م )

مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ

إشراف الأستاذ :

عبد الحميد العابد

إعداد الطالبين :

- عبد الله عزام غرائسة

- عبد الفتاح كروش

اللجنة المناقشة :

1 / معاذ عمراني ..... رئيسا

2 / عبد الحميد العابد ..... مشرفا و مقرا

3 / عمار غرائسة ..... مناقشا

الموسم الجامعي : 1432 - 1433 هـ / 2011 - 2012 م

## الإهداء

إلى حضن الحنان و نبع الأمان و واحة الجنان ... إلى النبي رضاها سر توفيقني و  
بصدق دعائها انفرجت كربتي و أحزاني ... أمي الحبيبة أطال الرب في عمرها ...  
إلى عماد البيت و قلبه النابض ، إلى من شقي لأسعد ، و علمني في الحياة كيف  
أجاهد ... قدوتي و قرّة عيني أبي الغالي

إلى بهجة البيت و أنسه ... أخي العزيز حسن و أختي العزيزة أسماء  
إلى كل من تجمعني بهم صلة رحم ... جدي و جدتي و أعمامي و عماتي و أخوالي و  
خالاتي ، و أخص بالذكر ابن عمي عبد الفتاح و ابن عمتي سليمان.

إلى أول صديق لي في حياتي ... حبيبي الغالي : نور الدين

إلى من كانت لي سندا و معيناً حينما ألتجأ إليها في هذا العمل : خالتي نادية

إلى كل زملائي و زميلاتي في كل أطوار حياتي الدراسية

إلى كل من نقشت أسماءهم و ارتسمت ذكرياتهم على صفحة قلبي و ذاكرتي و  
لم أذكرهم في مذكرتي

أهدي هذا العمل المتواضع راجياً منه سبحانه سداًه و توفيقه

عبد الله عزام

# الإهداء

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

أهدي ثمرة جهدي هذا :

إلى عصب البيت وقلبه النابض الذي يكافح من أجلي ويمدني بعطائه دون مقابل إلى من دفعني إلى طريق النجاح و علمني أن أرتقي في سلم الحياة بحكمة وصبر .

إلى من سعى إلى تحقيق مثلي العليا أبي الغالي : حسين

إلى الينبوع الذي لا يمل العطاء . إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها إلى رمز الحب وبلسم الشفاء ، إلى القلب الناصح بالبياض ، إلى من رضاها سر توفيقى وبصدق دعائها أنفرت كربي وأحزاني . إلى التي ودادها لا يشاطرنى فيه أحد أمي الغالية : التجانية . إلى من أحبهم قلبي دون مقابل جدي : محمد الصالح وجدتي : عائشة أطال الله بقائهما . إلى من حبهم يجري في عروقي ويلهج بذكرهم فؤادي ، إلى رياحين حياتي... إخوتي وأخواتي كل واحد بإسمه ،

إلى من تكاتفنا يدا بيد ونحن نقطف زهرة تعلمنا ، أصدقائي : علي ، عبد اللطيف ، يوسف ، سالم ، ميدة .

إلى توأما روحي وأخوايا اللذين لم تلدهما أمي ورفقاء دربي ، إلى أصحاب القلب الطيب والنوايا الصادقة إلى من رافقاني منذ أن حملنا الحقايب الصغيرة ، ومعهما سرت الدرب خطوة بخطوة حتى الآن : محمد الطاهر وتاج الدين .

إلى كل الأصدقاء بالفوج الثالث كل واحد باسمه ، وكل الأقارب والأحباب وخاصة ابن أختي زكرياء .

إلى كل من نسيهم قلبي ولم ينساهم قلبي .

عبد الفتاح

## شكر و عرفان

قال تعالى : " ولئن شكرتم لأزيدنكم...."

كل الشكر لله عز وجل الذي أنار لنا درب المعرفة ، وأعاننا على أداء هذا الواجب وإتمامه ، فالحمد لله كما يليق لجليل وجهه وعظيم سلطانه .

كما نتوجه بالشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل ، وفي تذليل ما واجهناه من صعوبات . ونخص بالذكر الأستاذ الفاضل " المشرف " العابد عبد الحميد ، الذي نسجل له بكل عرفان وتقدير جهوده الصادقة معنا ، فلولا سعة أفقه ورحابة صدره وحرصه أكثر منا على إتمام العمل ، لما وصلنا إلى هذا المقام ، كما لم يبخل علينا بنصائحه القيمة التي كانت عوناً دائماً لنا في إنجاز هذا الموضوع .

وأيضاً لا يفوتنا أن نشكر الأستاذ " لخضر بو لطيف " أستاذ بجامعة مسيلة ، على ما قدمه لنا من نصائح وتوجيهات ، بالإضافة إلي بعض المصادر و المراجع . فننتقدم له بخالص الشكر وفائق التقدير و الاحترام ، متمنين له التوفيق في إنهاء دراساته العليا .

كما نتقدم كذلك بالشكر و الامتنان إلى الأستاذ المحترم " غرثسة عمار " ، و الذي مد لنا يد العون وساهم في إثراء موضوعنا .

ونتقدم كذلك بالشكر الجزيل إلى كافة المكتبات التي استعنا بها في تأليف عملنا ، ونخص بالذكر المكتبة المركزية بالجامعة وعلى رأسها الأخت مسعودة .

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى من كانوا عوناً لنا في بحثنا هذا ونورا يضيء لنا الظلمة التي كانت تقف أحياناً في طريقنا ، كما لم ينسوننا بدعواتهم لنا بالتوفيق ، وقدموا لنا المساعدات والتسهيلات و نخص بالذكر الأصدقاء سالم رقوطة وميدة قدوري والطالبة خولة عمامرة ...

## مقدمة

مر تاريخ المجتمعات الإسلامية بالمغرب بعدة محطات كانت تصنع كل مرة واقعها وظروفها التاريخية ، ومنذ دخول المنطقة في الإسلام على إثر مجهودات الفاتحين ، تولى السلطة في البلاد العنصر العربي عموماً إلى غاية ظهور المرابطين ، الذين تعتبرهم دولتهم أهم مبادرة يتولى فيها البربر شؤون أنفسهم .

لقد انطلق المرابطون من أعماق الصحراء كمجموعات دينية مقاتلة ، تعقبت تعليمات زعيمهم عبد الله بن ياسين ، قبل أن تتطور أحداثها التي استوعبها الحلف الصنهاجي فيما بعد ، وتتقدم نحو الشمال مكتسحة كل ما يواجهها في سبيل تأسيس الدولة ، فتم لهم ذلك . وقامت دولة المرابطية على الإيديولوجية السنية وعلى المذهب المالكي ، ثم بعد ذلك أحيطت بالفقهاء المالكية كقوة إدارية وتشريعية وسياسية أيضاً . وقد إمتد سلطانهم إلى عدوة الأندلس إثر إستتجاد المعتمد بن عباد بهم ، لإيقاف تهديدات النصارى ، وبينما الدول المرابطية تعيش أزهى عصورها ، خرج شاب مصمودي من مضارب عشيرته في بلاد السوس متجها إلى المشرق لطلب العلم والمعرفة ، وإلتقى هناك بأكابر رجال العلم و تعرف على مختلف الإتجاهات والقيادات الثقافية والدينية في مصر وبغداد والشام والحجاز . ثم عاد ليصنع لنفسه أسطورة المهدي الذي يمتلك بيده مفاتيح الإصلاح والعدالة ، والرجل الذي يحمل برنامج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أخذاً بتطبيق رأه وطموحاته وقناعاته طلييلة الطريق التي قادت إلى المغرب ، ومن ثم ثار في وجه السلطة المرابطية ، مسفها أعلامها وأحلام فقهاءها ، وجمع لنفسه أتباعاً وطور مواجهته معها إلى ثورة مسلحة ومعارك تراوح فيها بين الإنتصار والهزيمة ، إلى أن لقي حتفه ، وإستمر أتباعه بقيادة عبد المؤمن بن علي في مسيرة المغامرة ، حتى إستقر لهم النصر ، و تمكنت لهم الدولة فانهارت بذلك دولة المرابطين وقامت دولة الموحيدين ، التي إمتد سلطانها إلى كافة بلاد المغرب الإسلامي ، وشكلت إحدى أهم الكيانات السياسية في تاريخ الإسلام السياسي والثقافي أيضاً .

### دواعي إختيار الموضوع وأهداف الدراسة :

- كشف اللثام عن صفحة من صفحات التاريخ المشرقة في بلاد المغرب الإسلامي ، وإبراز مدى ثراء هذا الإقليم بأحداث تاريخية هامة ، بلغت إرتجاجاتها كل من المغرب و المشرق و أوروبا .
- الرغبة في التعرف على أسباب الصراع وإنعكاساته على كلا الطرفين .
- الرغبة في معرفة مدى تحقق الغرض من الهجوم الموحيدي والتصدي المرابطي ، وأيهما كان الأولى و الأجدر بربح الصراع في الجولات المرحلية وفي نهاية المطاف .

### \* إشكالية الدراسة :-

بما أن القطيعة وإعلان الحرب من طرف محمد بن تومرت ضد المرابطين ، كان حدثاً يشوبه التعقيد والغموض بين ثناياه ، فقد كانت إشكالية دراستنا الأساسية كمايلي :-

- فيما تتمثل مبررات الصراع المرابطي الموحيدي وماذا إنعكس عن مجرياته ؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية الأساسية تساؤلات أخرى فرعية أهمها :

- فيما تكمن نقاط القوة والضعف عند كل من المرابطين والموحدين ؟

- هل كان محمد بن تومرت منذ البداية ينوي إسقاط حكم المرابطين وإقامة الدولة الموحدية ؟ أم أن ذلك بدا له إلا بعد عودته من المشرق وتجمع الأنصار حوله ؟

- كيف تم صناعة كرونولوجيا الصراع وإخراجه ؟ وماهي الآليات والأساليب التي تم إستخدامها في إدارته وتسييره ؟

- فيما تمثلت تداعيات الصراع المرابطي الموحي ؟ وكيف كان أثرها على بلاد المغرب والأندلس ؟

### \* المنهج المتبع في الدراسة :-

لقد حولنا في دراستنا إعتقاد مناهج الوصف والتحليل والمقارنة ، وهي ما رأيناها مناسبة لطبيعة موضوعنا حسب ما أوصلنا إليه إجتهدنا . فالمنهج الوصفي إعتدنا عليه بالأساس في محاولة عرض مجريات الصراع وأدواته ، وكذا الخطوات الإعدادية التي سبقت هذا الصراع ، و يتخلله كذلك بعض التحليل . وأما منهج التحليل فقد إعتدنا عليه بشكل غالب في دراسة أسباب ومنطلقات الصراع ، وكذا التداعيات التي إنجزت عنه . وفيما يخص منهج المقارنة فهو الآخر إعتدنا عليه بصورة ملازمة للمنهج التحليلي ، و ذلك في إستنباط خلفيات الصراع من خلال واقع المرابطين ونظرة الموحدين لهذا الموقع .

### تقسيمات الدراسة :-

لقد إختارنا تقسيم دراستنا إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة ، حيث تطرقنا في الفصل الأول إلى خلفيات الصراع المرابطي التومرتي ، والذي تم تقسيمه إلى مبحثين . فالمبحث الأول تناولنا فيه الخلفيات والمنطلقات العامة للصراع ، وأما المبحث الثاني فجاء بعنوان : " دور فكر ابن تومرت في التغيير " ، حيث تعرضنا من خلاله إلى التعريف بابن تومرت وتأثير الرحلة العلمية في بلورة فكره الثوري ، وكذا إستعراض لطبيعة الفكر المرابطي والموحدي، هذا الأخير الذي أنتجه ابن تومرت .

أما الفصل الثاني فقد ناقشنا فيه آليات الصراع بين المرابطين والموحدين ، وقسمناه إلى مبحثين كذلك ، حيث تضمن المبحث الأول أدوات الصراع التي إتسمت بالعنف الكلامي ، وكذا عملية الإعداد والتنظيم ، وأما المبحث الثاني فقد أدرجنا فيه الذروة التي وصلها مشروع الصراع على عهد كل من ابن تومرت وعبد المؤمن بن علي ، وفيما يخص الفصل الثالث قد تمحور حول تداعيات الصراع المرابطي الموحي ، حيث حاولنا أن نتناول من خلالها دراسة الإنعكاسات والتبعات التي خلفها الصراع على بلاد المغرب والأندلس بشكل عام . أما الخاتمة فقد تضمنت حوصلة وإستنتاجات عامة تتعلق بموضوع الدراسة .

### \* الدراسة النقدية لأهم المصادر والمراجع :-

إن الكتابات التي تناولت تاريخ الصراع بين المرابطين والموحدين هي كثيرة ومتنوعة ، كما أن نوعية دراستها ضمن هذه المصادر والمراجع هي على ثلاث حالات ، حيث أن هناك كتابات كانت متخصصة في عرض هذه الحقبة الزمنية التي مر بها المغرب الإسلامي ، ومنها ما كانت تشير بشكل عابر في محتوى التاريخ الطويل للعصر الوسيط بالمغرب ، ومنها ما كان التركيز فيها يتفاوت بين الفترة التي عاصرها محمد بن تومرت وبين عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي . وعليه إعتدنا كتاب البيدق : " محمد بن تومرت مهدي الموحدين " ، وعلى عبد الواحد المراكشي في كتابه " المعجب في تلخيص أخبار المغرب " ، و " روض القرطاس " لابن أبي زرع الفاسي ، وكذا ابن القطان في مؤلفه " نظم الجمان " ، وذلك في عرض أهم الأحداث والمؤثرات التي تتعلق بخلفيات الصراع وأدواته ومجرياته . كما إعتدنا كذلك على كتاب " المن بالإمامة " لابن صاحب الصلاة ، وخصوصا في تناول تداعيات الصراع ومخلفاته ، وكذا في التنويه بطبيعة الحياة الثقافية والفكرية التي كان يمتلكها الموحدين ، وهو ما عثرنا عليه كذلك في بعض رسائل ابن تومرت ك : " المرشدة " و " أعز ما يطلب " . هذا بالإضافة إلى العديد من المراجع التي ساعدتنا على فقه حيثيات الموضوع ، نذكر منها كتابي " المهدي بن تومرت " و " تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت " لعبد المجيد النجار ، واللذين إعتدنا عليهما بالأساس بالتعريف بزعيم الثورة الموحدية ، وفي توضيح فلسفته الفكرية ، التي تهدف إلى التأسيس للصراع مع المرابطين وبناء حياة جديدة ، ونذكر كذلك محمد عبد الله عنان من خلال مؤلفه الذي عنونه ب : " دولة الإسلام في الأندلس " ، حيث تناول فيه الكاتب تاريخ الموحدين والمرابطين في المغرب والأندلس . وهذا إلى جانب بعض الموسوعات التاريخية مثل : " موسوعة تاريخ بلاد المغرب " ، والتي أخذنا منها ما تطرق إليه الكاتب صالح بن قربة في حياة عبد المؤمن بن علي ، كمؤسس فعلي لأركان المشروع الموحيدي .

### الصعوبات :-

- لقد إعترض عملنا هذا عدة عقبات وصعوبات نذكر منها مايلي :
- إن أغلب المصادر التي تناولت هذا الموضوع كان لها إنحياز إلى الطرف الموحيدي ، وهو ما يعني بالضرورة أننا قد وجدنا صعوبة في إنصاف الطرف المرابطي .
  - صعوبة التوصل إلى تناول الخلفيات الحقيقية للصراع ، وذلك على اعتبار الغموض والإلتباس الذي يتعلق بتفاصيل الموضوع .
  - صعوبة الربط بين الوحدات الموضوعية التي تربط بالفصل الأول بالخصوص ، وتعذر دمجها على اعتبار أن كل خلفية لها طابعها الخاص .
  - صعوبة ضبط وتحديد التداعيات التي إنعكست عن الصراع ، بحيث برزت عدة مظاهر وتحولات غداة فترة الصراع ، فتعذر علينا بذلك الحكم على كونها تدرج ضمن التداعيات أم أن لها خصوصية غير ذلك .

## المبحث الأول : دور فكر ابن تومرت في التغيير

المطلب الأول: محمد ابن تومرت وتأثير البيئة العلمية في بلورة فكره الثوري:

### 1- محمد بن تومرت ( مولده ونسبه ):

إختلف الباحثون و المؤرخون في تحديد ميلاد ونسب ابن تومرت ويذكر أبي دينار أنه محمد عبد الله بن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن شعبان بن صفوان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رياح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب<sup>(1)</sup>.

و يذكر ابن القطان أنه محمد بن عبد الله بن وجليد بن يامصل بن حمزه بن عيسى بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب<sup>(2)</sup>. و حسب ما يذكر البيهقي ، فهو محمد عبد الله بن و كيلد بن يا مصل بن حمزة بن عيسى بن عبيد الله بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن فاطمة<sup>(3)</sup>. و في المقابل نجد بعض المؤرخين ينفي هذا النسب الشريف ، مثل الذهبي قال : " كان يدعي أنه حسن علوى " <sup>(4)</sup> ، كما وافقه بن أبي زرع الذي قال : " هو دعى في ذلك النسب الشريف " .

و يرى البعض أن أصله بربري مثل ابن خلدون حيث يقول : " هو محمد بن تومرت بن تطاوين بن سافلا بن مسيغون بن أيكليدس بن خالد " <sup>(5)</sup>.

(1) أبي عبد الله محمد أبي القاسم الرعيني القيرواني ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار أفريقية وتونس ، تونس، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية ، ط1، 1286 هـ ، ص :107.

(2) أبو محمد حسن بن علي الكتامي بن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، تح: محمود علي مكي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1990م ، ص: 34.

(3) أبو بكر الصنهاجي المكنى بالبيهقي: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، تح : عبد الحميد حاجيات ، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 2، 1986، ص: 21.

(4) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تح: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، ج36، 1994، ص: 106.

(5) أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضري بن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ط)، ج6، 1992، ص: 266. ينظر: أبو عبد الله

والملاحظ أن النسب الشريف سيكون له على ما يبدو أثره السياسي فيما بعد .  
 كما وجد الاختلاف في نسبه وقد كان أيضا في تاريخ ميلاده ، فقبل سنة 491هـ ،  
 وقبل سنة 484هـ وحتى سنة 486هـ<sup>(1)</sup> ، و يمكن حسم تاريخ مولده بين  
 (470هـ/1077م-1078م) و (480هـ - 1087م - 1088م)<sup>(2)</sup> ، والمرجح أنه ولد  
 سنة 480هـ على أساس أن تاريخ إنطلاق الرحلة العلمية سنة 500هـ . وقد إتفقت أغلب  
 المصادر على أن عمره في ذلك الوقت كان 20 سنة<sup>(3)</sup> . وهو من منطقة السوس<sup>(4)</sup> ، ولد  
 بمكان يدعى أيجلي أو وارغن من قبيلة هرغة<sup>(5)</sup> وهي إحدى بطون المصامدة بجبال الدرن  
 في منطقة السوس بجنوب المغرب الأقصى<sup>(6)</sup> .

و يعرف قومه فيها بإسراعين ومعناها الشرفاء بلسان البربر<sup>(7)</sup> ، أما عن تلقيبه  
 بتومرت ، فقد لقبته أمه عند ولادته حيث أنها فرحت به فقالت باللسان البربري : " أتومرت  
 إينويسك أيبوي " ، و معناها " يا فرحتي بك يا بني " ، و إذا سئلت على إبنها تقول : " يك  
 تومرت " ، أي صار فرحا ومسرورا ، ولذلك غلب عليه إسم تومرت<sup>(8)</sup> ، وقد عرف كذلك

محمد بن أحمد التركماني الدمشقي الذهبي: تذكرة الحفاظ ، نشر بعناية : عبد الرحمان بن يحلى المعلمي ، بيروت ، دار  
 الكتب العلمية ، (د.ط) ، ج4 ، (د.ت) ، ص : 1274 . و: أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان الياغعي: مرآة  
 الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ط2، ج3، 1993، ص :  
 432 . و: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغرى بردي الأتابكي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تق و تع  
 : محمد حسين شمس الدين، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط1، ج5 ، 1992م ، ص : 254 . و: أبو نصر عبد  
 الوهاب بن علي السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، نشر بعناية : أحمد بن عبد الكريم القادري الحسني ، القاهرة ،  
 المطبعة الحسينية ، (د.ط) ، ج6 ، 1906، ص : 109.

<sup>(1)</sup> أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدين والحفصية ، تح: محمد ماضون، تونس ، المكتبة  
 العتيقية ، ط2 ، 1966، ص:4.

<sup>(2)</sup> إبراهيم زكي خور شيد وآخرون: دائرة المعارف الإسلامية، القاهرة، الشعب، ط2، ج1، 1969م، ص: 230.

<sup>(3)</sup> أبو القاسم عبد الله بن عبد الله بن خردذابة: المسالك والممالك ، ن: دي غوية، ليدن، مطبعة برييل، (د.ط)، 1889،  
 ص:98.

<sup>(4)</sup> السوس الأقصى: إسم مدينة في غرب المغرب الأقصى، وهي ذات قرى واسعة وأراضي خصبة، ويسكنها طوائف  
 عديدة من البربر. ينظر: إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري : المسالك والممالك ، تح : محمد جابر عبد العالي، مر،  
 شفيق غربال، مصر، دار القلم، 1961، ص: 20.

<sup>(5)</sup> عبد الواحد مراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تق و تع: محمد زينهم محمد عزب ، دار الفرجاني  
 للنشر والتوزيع، (د.ط)، 1994، ص: 136.

<sup>(6)</sup> هرغة: وهي قبيلة ابن تومرت وتعتبر قليلة العدد بالنسبة لقبائل المصامدة الأخرى، وموقعها بالجنوب الغربي للمغرب  
 الأقصى. ينظر: عبد الرحمان بن خلدون: كتاب العبر ، المصدر السابق، ج6، ص : 267.

<sup>(7)</sup> جبال درن: وهي مواقع إستقرار المصامدة ، وتتميز هذه المنطقة بخصوبة أرضها ورطوبة مناخها. ينظر : أبي عبد  
 الله الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، تح : إسماعيل العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، (د.ط) ،  
 1983، ص : 227.

<sup>(8)</sup> عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي، حياته وآراؤه وثورته الفكرية  
 والإجتماعية وأثره بالمغرب ، بيروت، دار الغرب الإسلامي ، ط1، 1983، ص : 35.

عندما أصبح شابا باسم أسفو ، أي الضياء باللغة البربرية ، لأنه كان يسرج القناديل في المساجد ، وهذا دليل على ملازمته للمساجد للقراءة و الصلاة<sup>(1)</sup>، ولقد نشأ ابن تومرت في أسرة كانت من أواسط القوم أي متوسطة الحالة الاجتماعية ، لكن كانت لديه شيء من المكانة الدينية . و يقول ابن خلدون في هذا الصدد : " وكان أهل بيته أهل نسك ورباط " (2)

وربما أصبحت أسرة ابن تومرت على شيء من الجاه ، حينما صار والده شيخا لقبيلته ، وهو ما يتضمنه تلقيبه ب : " أمغار " ، والتي تعني بالبربرية " الشيخ " (3) . والظاهر أن والد ابن تومرت كونه شيخ قبيلة ، كان له تأثير على تكوين شخصية ابنه القيادية ، وكذلك في إذكاء روح الطموح لديه .

## 2- تأثير البيئة العلمية في بلورة الفكر الثوري عند ابن تومرت :

لقد بدأ ابن تومرت حياته العلمية بالتردد على الكتاتيب ، فحفظ القرآن الكريم منذ صباه وأخذ بعض مبادئ النحو والصرف في اللغة ، ولم يتلقى علوما أخرى خارج هذا المجال ، حيث كانت هذه عادة أهل المغرب في تعليم صغارهم ، وهو ما يؤكد لنا ابن خلدون بقوله : " فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن (4) . وبعد بلوغه لسن الرشد أصبح يختلف إلى مجالس الذكر والعلم الشرعي في البداية رفقة والده ، ثم أخذه الفضول بعد ذلك للاستزادة أكثر من العلوم الإسلامية والتعرف على فقهاء المنطقة وأعلامها، فسافر إلى مراكش<sup>(5)</sup>، ومنها إلى فاس<sup>(6)</sup>، وحينما أصبح عمره 20 سنة سنة ، أي في عام 500هـ/1107م ، تاقت نفسه للنهل من علوم الشريعة خارج منطقة

(1) ابن القطان: المصدر السابق، ص: 37.

(2) عبد الرحمان بن خلدون: كتاب العبر ، المصدر السابق ، ج6، ص: 266.

(3) عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت ، المرجع السابق ، ص: 34.

(4) أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي بن خلدون: المقدمة ، تح: درويش الجويدي، بيروت، المكتبة العصرية،

(د.ط)، 1995، ص: 506.

(5) مراكش: هي حاضرة بلاد المغرب، أسسها يوسف بن تاشفين سنة 459 هـ ، وتبعد 3 أميال من وادي تنسيفت ، وهي

مدينة كثيرة الزروع والثمار. ينظر: مؤلف مجهول : كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار، نشر و تع : سعد زغول

عبد الحميد، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة، (د.ط)، 1986، ص: 208.

(6) فاس : هي مدينة تقع في شمال المغرب الأقصى ويشقها نهر كبير ، وتتميز تربتها بالخصوبة ، وبها العديد من المرافق

المرافق العامة . ينظر: أبي القاسم بن حوقل النصيبي: كتاب صورة الأرض ، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة ،

(د.ط)، 1992، ص: 98.

المغرب الأقصى، و هم بالسفر إلى الأندلس فنزل بقرطبة<sup>(1)</sup>، وتتلذذ على يد الكثير من علمائها أمثال القاضي أبو جعفر محمد بن حمدين<sup>(2)</sup> ، وكذا أبو عبد الله محمد بن فرج<sup>(3)</sup>، وقد تأثر به بن تومرت خصوصا في مجال الفقه والحديث<sup>(4)</sup> ، وبعدها توجه نحو ألمرية<sup>(5)</sup> ألمرية<sup>(5)</sup> ، وأقام بها أياما ثم ركب من مينائها نحو تونس ، حيث نزل بالمهدية وأقام بها مدة مدة يتلذذ فيها على يد أبي عبد الله المازري<sup>(6)</sup> ، وقد أشار التجاني في رحلته إلى أن ابن تومرت مر بجزيرة جربة وبقي بها بعض الوقت<sup>(7)</sup>.

ومنها توجه نحو الديار المصرية ، فحل بالإسكندرية ، وتلقى دروسا على يد أبوبكر الطرطوشي<sup>(8)</sup> ، هذا الأخير الذي إتسم بالورع والتقوى ، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في عنف وصرامة<sup>(9)</sup> ، وهو ما جعل بن تومرت يتأثر بشخصيته وبنهجه وبنهجه في الدعوة إلى دروب الحق والخير<sup>(10)</sup> ، ومنها إتجه نحو مكة لأداء مناسك الحج والعمرة ، وبعدها عرج على بلاد الشام وتتلذذ هناك على يد علمائها ، وأخرج منها قاصدا

(1) قرطبة: كلمة أعجمية رومية، ولها أصل في العربية ، وهي من القرطبة ، وتعني العدو الشديد ، وهي مدينة وسط بلاد الأندلس، كانت مقرا لبني أمية . ينظر: أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب اليعقوبي: البلدان ، وضع حواشيه : محمد أمين ضناوي، بيروت، دار الكتب العلمية ، ط1، 2002، ص: 93  
(2) محمود السيد : تاريخ دولتي المرابطين والموحدين ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، (د،ط) ، 2004 م ، ص:46.

(3) أبو عبد الله محمد بن فرج : هو القاسم بن الجد الفهري ، أصله من لبلبة ، وقد تولى الوزارة بإشبيلية على عهد يزيد ، ثم تولى الكتابة في قصر يوسف بن تاشفين ، وكان فقيها ومحدثا وأديبا ، توفي عام 515هـ / 1121م . ينظر : أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس ، تح : عبد الوهاب بن منصور ، الرباط ، دار المنصور ، ( د . ط ) ، 1972 م ، ص : 109 .

(4) سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، (د.ط) ، ج5 ، 2000، ص: 126.  
(5) ألمرية: هي مدينة تقع على الساحل الجنوبي للأندلس ، وقد قام عبد الرحمان الناصر بتحسينها عام 343 هـ / 954م ، وكان بها دار لصناعة المراكب البحرية . ينظر: مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، تح وتر: لويس مولينا، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، (د.ط) ، ج1، 1983 ، ص : 79.

(6) علي محمد الصلابي: صفحات من التاريخ الإسلامي - دولة الموحدين- ، عمان، دار البيارق، د.ط، 1998، ج5، ص 11:

(7) أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني : رحلة التجاني ، تق: حسين حسني عبد الوهاب، ليبيا ، تونس، الدار العربية للكتاب(د.ط) ، 1980، ص: 502.

(8) أبو بكر الطرطوشي: هو محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الأندلسي الطرطوشي ، من فقهاء المالكية الحفاظ من أهل طرطوشة بشرقي الأندلس، توفي عام 520 هـ / 1126م. ينظر: أبو جعفر أحمد بن يحيى اللورقي الضبي: بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح : روحية عبد الرحمان السويفي، بيروت، دار الكتاب العلمية، (د.ط) ، 1997، ص: 135.  
(9) محمود السيد : المرجع السابق، ص: 46.

(10) داود عمر سلامة عبيدات: الموحدون في الأندلس، الأردن ، دار الكتاب الثقافي ، (د.ط)، 2005م ، ص : 15.

بغداد حيث إلتقى هناك بفخر الإسلام أبوبكر الشاشي<sup>(1)</sup>، فأخذ عليه بعض أحكام الفقه وأصوله وكذا الحديث عن بعض شيوخها ، وخصوصا من أعلام الحديث<sup>(2)</sup>، وأما مسألة إلتقاء ابن تومرت بحجة الإسلام أبا حامد الغزالي<sup>(3)</sup>، فإنها رواية غير متماسكة تخضع للأخذ والرد بعد المقارنة التي قمنا بها بين مصنفات المؤرخين ، حيث إنقسمت مواقفهم إلى ثلاثة أقوال ، فهناك من أكد هذا الإلتقاء مثل ابن صاحب الصلاة ، حيث روى عن عبد الله بن عبد الرحمان العراقي ، فيقول هذا الأخير : " كنت ببغداد بمدرسة الشيخ الإمام أبي حامد الغزالي ، فجاءه رجل كثر اللحية على رأسه عمامة صوف ، فدخل المدرسة و أقبل على الشيخ أبي حامد ، فسلم عليه . فقال ممن الرجل ؟ فقال : من أهل المغرب الأقصى . قال : أدخلت قرطبة ؟ قال: نعم . قال : كيف فقهاؤها ؟ قال بخير. قال : هل بلغهم كتاب الاحياء ؟ قال : نعم . قال : فماذا قالوا فيه؟ ، فصمت الرجل حياء ، فعزم عليه ليقولن ما طراً ، فأخبره بإحراقه وبالقصة كما جرت . قال : فتغير وجهه ومد يده للدعاء والطلبة يؤمنون . فقال : اللهم مزق ملكهم كما مزقوه ، وأذهب دولتهم كما أحرقوه . فقال أبو عبد الله بن تومرت السوسي : أيها الإمام أدع الله أن يجعل ذلك على يدي ، فتغافل عنه الإمام ، وبعد أيام قدم شخص آخر إلى حلقة الإمام . فسأله هذا الأخير عن حقيقة الأمر ، فأخبره بصحة الخبر المتقدم . فدعا بمثل دعاءه الأول ، وكان المهدي حاضرا . فقال هذا الأخير: على يدي إن شاء الله . فقال : << اللهم إجعله على يديه >><sup>(4)</sup>، كما ذكر ابن قنفذ القسنطيني أنه عندما مزق المغاربة (لمتونة) كتاب إحياء علوم الدين ، فدعا الغزالي بتمزيق ملكهم وكان المهدي حاضرا في مجلسه . فقال على يدي . قال : على يديك<sup>(5)</sup>.

(1) أبو بكر الشاشي: هو محمد بن أحمد بن الحسين الشاشي ، كان فقيه الشافعية بالعراق ، وتوفي في بغداد عام 507 هـ /1114م . ينظر : خير الدين الزركلي: الأعلام ، قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، بيروت، دار العلم للملايين، (د.ط)، ج5، 1995، ص: 316.

(2) سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع ، ج5 ، ص: 151.

(6) أبو حامد الغزالي: هو حجة الإسلام محمد بن محمد ، ولد بخرخسان عام 450هـ/1058م ، كان فقيها وفيلسوبا متصوفا ، وله نحو 200 مصنف ، توفي بطوس سنة 505 هـ/1111م . ينظر: الزركلي: المرجع السابق، ج7، ص: 22.

(4) عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت ، المرجع السابق ، ص - ص: 76-77.

(5) ابن القنفذ القسنطيني: المصدر السابق ، ص: 100 . ينظر: الزركلي: المصدر السابق، ص: 4 و أبو العباس أحمد بن محمد البرمكي ابن خلكان: وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، تح : إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، (د.ط) ، ج5 ، 1978م ، ص: 46 . و ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص: 120.

وأما عن الفريق المشكك في الرواية السابقة ، فنجد المراكشي ، حيث يقول : " وقيل أنه - أي ابن تومرت- لقي أبا حامد الغزالي بالشام أيام تزدهه ، والله أعلم " (1) ، كما نجد كذلك ابن خلدون يشك في أمر الالتقاء من خلال قوله : " ولقي فيما زعموا أبا حامد الغزالي وفاوضه بذات صدره " (2) ، وأما الفريق الذي ينفي تماما ، فنجد ابن الأثير حيث يقول : " والصحيح أنه لم يجتمع به ، فحج من هناك وعاد إلى المغرب " (3) ، كما نجد كذلك الطاهر المعموري يعطي تحليلا لوقائع الأحداث التي كانت في تلك الحقبة ، فيقر بأن ابن تومرت لم يلتقى قطعا بالغزالي ، على اعتبار أن حادثة إحراق كتاب الإحياء من طرف المرابطين في عهد علي بن يوسف ، كانت سنة 503هـ/1109م حسبما ذكر القطان (4) ، وقد غادر الغزالي بغداد منذ حوالي سنة 488هـ/1105م ، وإتجه نحو دمشق ثم غادر هذه البلدة (5) منذ سنة 500هـ/1106م متجها نحو نيسابور (6) ، وتوفي بها سنة 505هـ/1111م ، وهو ما يعني أن ابن تومرت لا يمكن أن يكون قد إلتقى بالغزالي ، إذا اعتبرنا أن خروجه من بلدته كان سنة 500هـ / 1106م (7) ، وبعد عرض كل الأقوال المتعلقة بمسألة الالتقاء بين ابن تومرت والغزالي نستطيع القول أن مسألة إلتقائهما هي قضية حساسة وجوهرية ، كان من الواجب طرحها والإشارة إليها ، على اعتبار أن مجريات اللقاء تدعم موقفه بشكل عام فيما بعد ، ويظهر ذلك جليا خصوصا بعد إنطلاق دعوة ابن تومرت وبروز الحملة الدعائية التي تخدم مصالح المرابطين على حساب المرابطين ، وهو ما أشرنا إليه آنفا من أن الغزالي دعا بهلاك المرابطين بعد إحراقهم لكتاب الإحياء ، وصرح لتلميذه ابن تومرت - حسب زعم بعض المؤرخين ، حينما كان

(1) عبد الواحد مراكشي : المصدر السابق، ص: 178.

(2) عبد الرحمان بن خلدون : كتاب العبر، المصدر السابق ، ج 6 ، ص: 466.

(3) محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير: الكامل في التاريخ ، تح : محمد بن يوسف الدقاق ، بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 1987 ، مج9 ، ص: 195.

(4) الطاهر المعموري: الغزالي وعلماء المغرب، تونس، دار التونسية للنشر، 1990، ص: 28.

(5) عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت : المرجع السابق، ص: 80.

(6) نيسابور: هي مدينة واسعة الرقعة، افتتحها الخليفة عثمان بن عفان سنة 30 هـ ، وسكانها هم مزيج العرب والفرس، وبها العديد من الكور والأودية. ينظر : اليعقوبي : المصدر السابق، ص- ص: 95-96.

(7) يوسف علي بدوي: عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط، الجزائر، دار الاصاله، ط1، 2010م، ص: 163.

حاضرا بمجلسه في بغداد بأنه هو من سيقضي على ملك المرابطين ، ويتولى هو أمر بلاد المغرب والأندلس مكانهم .

وبعد رحله طويلة قضاها ابن تومرت في طلب العلم في غرب البلاد الإسلامية وشرقها ، هم بالعودة إلى بلاد المغرب ، ولكن قبل أن يقفل راجعا عرج على مكة بالحجاز لأداء مناسك الحج للمرة الثانية ، وكان ذلك سنة 510 هـ / 1116م ، وهو ما يعني أن رحلته العلمية قد دامت 10 سنوات ، ونظرا لتأثر ابن تومرت بمنهج وأفكار بعض شيوخه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد عمل على تنصيب نفسه محتسبا في شؤون الأخلاق العامة . وكان ينكر على الناس بشدة فيما يخالف أحكام الشرع ، و من الطبيعي أن يثير هذا حفيظة البعض بمكة ، ويلحق به قدرا من الأذى في سبيل ذلك ، وبالتالي تم خروج ابن تومرت من مكة بصفته مطرودا(1) ، فأتجه نحو مصر ودخل الإسكندرية(2)، حيث قصد بها مجلس الفقيه المتبحر في السياسة الشرعية أبو بكر الطرطوشي ، وقد لاحظ ابن تومرت العديد من مظاهر الترف والبخ التي إنغمس فيها أهل الاسكندرية ، ورأى أنها لا تتوافق مع مبادئ الشريعة الإسلامية ، فأعلن إنكار هذه الأوضاع المتفشية بكل قوة وغلظة ، وهي دلالة على جرأة ابن تومرت في تبليغ دعوته (3) ، وقد أنشد ابن تومرت يوما أثناء وجوده بمصر قائلا :

ذرني وأشياء في نفسي مخبأة	لألبس لها درعا وجلبابا
والله لو ظفرت كفى بغيتها	ما كنت عن ضرب أعناق الوري أبي
حتى أظهر هذا الدين من نجس	وأوجب الحق للسادات أحابا
وأملأ الأرض عدلا بعد ما ملئت	جورا وأفتح للخيرات أبوابا(4)

ويعلق ابن القطان على ذلك بقوله : " ونزل المهدي مدينة الإسكندرية ، فرأى بها مناكر ، فغيرها وأغلظ في أمرها ، فقامت عليه العامة والغوغاء ، وصاروا يقطعون عليه

(1) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق، ج5، ص- ص: 158-156.

(2) الإسكندرية : ذكر أن الذي بناها هو الإسكندر الأول ذو قرنين، وكانت الإسكندرية لشدة بياضها لا يكاد يبين فيها دخول الليل إلا بعد وقته . ينظر: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي: معجم البلدان ، بيروت، دار

صادر، (د.ط)، 1988، ج1، ص: 217.

(3) حمدي عبد المنعم محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، الاسكندرية ،

دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، 1998، ص: 87.

(4) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج5، ص: 159.

طريقه إلى مجلس أبي بكر الطرطوشي ، فلما فقد الطرطوشي بحث عنه ، حتى أعلم بمكانه ، فقصده إليه و هو في مسجد الأخضر على ساحل البحر، فترامى عليه وصافحه وسأله عن سبب غيبته مجلسه ، فأخبره بشأن ذلك " ، ولهذا قرر والي المدينة طرده .

ولم يكن الطرد الذي تعرض له ابن تومرت في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا ليزيده إصرارا وعزيمة<sup>(1)</sup> ، حيث يقول الغزالي في هذا الخصوص: " إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين.... وهو المهمة التي ابتعث الله له النبيين .... ولو طوى بساطه والعمل به ، لتعطلت النبوة واطمحت الديانة"<sup>(2)</sup> ، ويقول كذلك : " إن من لم يكن مكلفا بالأمر بالمعروف فله إنكار المنكر ، وله أن يريق الخمر ويكسر الملاهي ، وإذا فعل ذلك نال به ثوابا ، ولم يكن لأحد منعه من حيث أنه ليس بمكلف " (3)

وبعد حادثة طرد ابن تومرت من الإسكندرية ، كان عليه أن يستقل سفينة يبحر بها نحو بلاد المغرب<sup>(4)</sup> ، وعند صعوده على ظهر السفينة وجد بها مجموعة من جرات الخمر فعمل على كسرها ، ولما رفع الأذان لم يهتم أحد من ركاب السفينة ورفضوا دعوته للصلاة دون مبالاة . ولما هبت عاصفة بحرية وإرتبك ركاب السفينة ، قام ابن تومرت يدعو فهدأت العاصفة ، وهو ما جعل الركاب ينظرون لابن تومرت على أنه ولي صالح ومستجاب الدعوة ، فأصبحوا بعد ذلك يطيعونه طاعة مطلقة<sup>(5)</sup> .

وأول محطة توقف عندها ابن تومرت ببلاد المغرب كانت في طرابلس الغرب، حيث جلس في صحون المساجد لمباشرة عملية التدريس ، وذلك بالموازاة مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>(6)</sup> ، وبعدها إنتقل إلى أفريقية ونزل بالمهدية<sup>(7)</sup> ، وكان ذلك

(1) سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع ، ج5، ص: 161.

(4) أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الغزالي: إحياء علوم الدين ، بيروت، دار المعرفة ، (د . ط) ، (د . ت) ، ج2، ص: 269 .

(5) أبوحامد الغزالي : نفس المصدر: ج2، ص: 274.

(1) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج5 ، ص : 161.

(2) محمود السيد : المرجع السابق ، ص: 46.

(6) عبد الرحمان بن خلدون : كتاب العبر، المصدر السابق ، ج6 ، ص : 226.

(7) المهديّة: منسوبة إلى عبد الله المهدي الذي بناها . بينها وبين القيروان ستون ميلا . ينظر: أبي عبد الله البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، (د . ط) ، (د . ت) ، ص : 29 .

حوالي سنة 511 هـ/1118م. وأقام بإحدى مساجدها أياما ، حيث نصب نفسه هناك مرشدا ومقوما لعقائد و سلوكات و عبادات الناس ، وقد انتشر خبره بين أهل المهديّة ، وبلغ أمره الأمير يحيى بن تميم بن المعز لدين الله.(1)

فاتصل به الفقيه المازري ونصحه بالخروج من المهديّة خوفا عليه من بطش الأمير ، وجنده فخرج المهدي مع ثلاثة من أتباعه(2) ، واتجهوا نحو المنستير(3) ، وبعدها اتجه نحو مدينة تونس ، ومنها بدأ ابن تومرت في عملية استقطاب بعض الأتباع ، وقد قام ابن تومرت بلفت الإنتباه وشد الأنظار إليه ، حينما دعا الناس إلى الصلاة على جثمان الرجل المشكوك في إسلامه ، وأنكر على علماء تونس إمتناعهم على ذلك(4) ، وبعدها توجه نحو قسنطينة.(5) ، ونزل بإحدى المساجد ، فتوافد عليه الطلبة لينهلوا من علمه ، وكان يقف في ميدان المدينة الكبير لتوجيه المسؤولين على الحسبة و الأمن وإرشادهم إلى تطبيق قوانين الشريعة على المخالفين كما هي دون تحريف أو تزييف ، حيث وجد ابن تومرت من بين مظاهر هذا التساهل في تنفيذ قواعد الشرع أنهم كانوا يعوضون القصاص للقاتل بضرب السياط(6).

ومن قسنطينة خرج ابن تومرت مع بعض أصحابه متجها نحو بجاية(7)، عاصمة بني حماد آنذاك ، وكان ذلك سنة 512 هـ/ 1118م(8)، حيث نزل هناك بمسجد الريحانة ،

(1) الأمير يحيى بن تميم : هو أبو الطاهر بن المعز بن باديس الصنهاجي ، ولد عام 547هـ/1065م ، وكان من أمراء الدولة الصنهاجية ، قام بغزو جنوة وسردينيا ، وكان له إهتمام بالأدب . توفي سنة 509هـ/1116م . ينظر: خير الدين الزركلي : المرجع السابق ، ج8 ، ص: 139.

(2) الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية تاريخ أفريقية في عهد زيري من القرن 10 م على القرن 12 م، تر: حمادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي ، ط1، ج1، 1992، ص- ص: 385-386.

(3) المنستير: هي مدينة عتيقة بناها الرومان على ساحل البحر، بعيدة بنحو 12 ميلا على سوسة ، تحيط بها أسوار عالية . ينظر: حسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف إفريقيا ، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ج2 ، 1983، ص: 84.

(4) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق، ج5، ص: 164.

(5) قسنطينة: مدينة قديمة بناها الرومان ، وهي واقعة على جبل شاهق ومحاطة من جهة الجنوب بصخور عالية . ينظر: حسن الوزان الفاسي: المصدر السابق ، ج2، ص: 55.

(6) البيهقي: أخبار المهدي بن تومرت ، المصدر السابق ، ص: 31.

(7) بجاية: وهي مدينة عظيمة على ضفة البحر . يضرب في سورها عامرة بأهل الأندلس ، وبشرقيها نهر كبير تدخله السفن ، وهي من بناء ملوك صنهاجة ، و تعرف بقلعة بني حماد . ينظر: مؤلف مجهول: الإستبصار في عجائب الأمصار: المصدر السابق ، ص: 128.

(8) عبد الحميد حاجيات : تاريخ الجزائر في العصر الوسيط ، (د . م) ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، 2007 م ، ص- ص: 118-133.

، وقصد رحاب المسجد يدرس الناس كتابا في أصول الدين ، وآخر في علم الحديث ، وهذا إلى جانب الوعظ والإرشاد<sup>(1)</sup> ، كما شرع ابن تومرت في مباشرة حملته المعتادة ، التي يمكن أن نطلق عليها حملة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حيث أنكر على أهل بجاية إرتداءهم للثياب الناعمة المنسوجة من الأقران الزازية ، وكذا لباس الفتوحات بالنسبة للرجال ، على اعتبار أنها محرمة ولا يختص بلبسها سوى النساء ، وهو ما أكسبه إحتراما وهيبه لدى فقهاء بجاية .

كما صادف ابن تومرت عيد الفطر هناك ، ولاحظ في اليوم الأول منه أن الرجال والنساء يسيرون في موكب مختلط مع سفور بعض النساء ، فدخل فيهم ابن تومرت ، وبددهم بالعصا يمينا وشمالا<sup>(2)</sup>، وقد أدى هذا الحادث إلى اعتراض والي المدينة ، على اعتبار أن ذلك مبعثا لإثارة الفتن والقلق داخل المجتمع ، وهو ما فرض على الوالي أن يستصدر أمرا بإخراجه من المدينة ، فتم خروج ابن تومرت من بجاية ، واتجه إلى منطقة أخرى تسمى ملالة<sup>(3)</sup> ، ونزل في حماية أهلها، الذين آووه وأكرموه<sup>(4)</sup>، ورفضوا تسليمه لصاحب بجاية ، على اعتبار أن صاحب بجاية تبين له أن يأسر هذا الرجل أو يقتله أفضل من طرده وتركه حرا طليقا. فهو حالة يفترض أن يتوجس منه خفية ، وبالتالي أقام ابن تومرت بينهم ، وأخذ يدرس العلوم الدينية بهذه المدينة ، وكان إذا فرغ من التدريس يجلس في قاعة الطريق ، لإرشاد الناس إلى قول الحق وفعله والإبتعاد عن كل ما هو باطل من قول أو فعل أو عقيدة . وهو ما أكسبه مكانة دينية وإجتماعية راقية لدى الناس<sup>(5)</sup> ، وبعد ما ذاع صيته أكثر في المنطقة ، بنى له أهل ملالة مسجدا ، وسمي بإسمه ، حيث كان يتصدر فيه المهدي لتدريس العلوم الشرعية على طلبته ، الذين كانوا يفدون إليه من مختلف المناطق ، كما كان ابن تومرت يفرد جزءا كبيرا من وقته للذكر والصلاة وقراءة القرآن .<sup>(6)</sup>

(1) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج5، ص: 166.

(2) البيدق : أخبار المهدي بن تومرت ، المصدر السابق ، ص: 30.

(3) ملالة: بفتح الميم وتشديد اللام ، وهي قرية قرب بجاية تقع على ساحل بحر المغرب . ينظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق ، ج5، ص : 189.

(4) سعدون نصر الله : تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة (20-798هـ/640-

1492م) ، بيروت، دار النهضة العربية ، ط1، 2003م ، ص: 286.

(5) حمدي عبد المنعم محمد حسين: المرجع السابق، ص: 90.

(6) البيدق: أخبار المهدي بن تومرت، المصدر السابق ، ص: 31.

## المطلب الثاني: قراءة في فكر المرابطين والموحدين

### 1- الحياة الفكرية والعلمية في دولة المرابطين:

عندما سيطر المرابطون على المغرب وكان المؤسس الروحي لدولتهم عبد الله بن ياسين<sup>(1)</sup>، الذي كان فقيها مالكيا ، زادت تلك العقيدة توطدا ، حتى أصبح لها سياسي ، وصار كافة الناس يحملون على منهج أهل السلف في العقيدة ، والمالكية في الفقه بتوجيه من الفقهاء.<sup>(2)</sup>

كما أن يوسف بن تاشفين<sup>(3)</sup> في عهده كان يفضل الفقهاء ويعظم مكانتهم ، ويصرف الأمور لهم ويأخذ فيها برأيهم ، ولما خلفه ابنه علي<sup>(4)</sup>، إشتد إيثاره لأهل الفقه والدين ، وكان لا يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء ، حيث كان لا يبيت في حكم

(1) عبد الله بن ياسين: هو ابن مكو الجزولي المصمودي، حيث أنشأ دارا سماها بدار المرابطين، وبعدها عمل على تجنيد طلبته، وأخضع العديد من قبائل صنهاجة ومصمودة ، فأصبحت كلها تابعة لسلطته ، توفي عام 451هـ/1059م. ينظر:

خير الدين الزركلي : المرجع السابق ، ج 4 ، ص: 144.

(2) عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت ، فرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، (د.ط) ، 1995م، ص: 51.

(3) يوسف بن تاشفين: هو أبو يعقوب بن تاشفين إبراهيم اللمتوني، ولد عام 410هـ/1019م ، ويعتبر الأمير يوسف هو المؤسس الفعلي لدولة الملثمين ، وقد وصل ملكه من بلاد السودان جنوبا الى الأندلس شمالا ، توفي عام 500 هـ /1107م . ينظر: خير الدين الزركلي : المرجع السابق، ج8، ص: 222.

(4) هو أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني ، ولد سنة 477هـ /1084م ، تولى حكم المرابطين سنة 500هـ/1107م ، و خاض عدة معارك ضد الفرنجة ، توفي سنة 537هـ /1143م . ينظر : خير الدين الزركلي: نفس المرجع ، ج 5 ، ص : 33 .

صغير كان أو كبير ، إلا بمخطر أربعة من الفقهاء . فبلغ الفقهاء في أيامه مبلغا عظيما لم يبلغوا مثله من قبل ، ولم يزل الفقهاء على ذلك وأمور المسلمين موقوفة عليهم طول مدته ، فعظمت مكانة الفقهاء ، وهو ما أدى إلى كثرت أموالهم واتساع مكاسبهم (1).

ولم يكن يقرب الأمير إلى نفسه ، إلا من علم علم الفروع في مذهب مالك ، حيث هجر الفقهاء المرابطين دراسة الأصول في الدين والشريعة ، وخصوصا دراسة الحديث و، بل كانت مذمومة فلم يروا فيها فائدة ، ومن إهتماماتهم في دراسة الفروع نجد " الفقه العملي) تمثل ذلك في العبادات بحسب مذهب مالك(2) ، وعدوا دراسة الفروع أقصى غايات علم الدين ، بدلا من أن تكون مجرد فرع ثانوي(3).

كما أن الفقهاء المرابطين لم يهتموا بدراسة الحديث ولم يهتموا بما يستحقه من فهم، ولا يرجعون إلى الأصول لإستنباط الأحكام ، وإنما للأحاديث المجموعة في كتب الفروع ، هذا الأمر جعلهم يبتعدون عن علم أصول الفقه الذي تستنبط بمقتضاه الأحكام الشرعية(4) . أما عن العلماء الذين يمثلون الإتجاه العقدي لدولة المرابطين ، فقد كانوا يستندون إلى عقائد الأشعرية ، مع حرصهم على عدم تسرب شيء منها للعامّة ، و هو موقف يتجاوب وموقف أهل السنة القاضي يتفادى طرح مثل هذه المسائل الكلامية على العوام(5)، و مما يثبت لنا ذلك ، هو أن الإمام مالك الذي تظهر لنا رواية المالكية أنه أعلم الناس بالرد على أهل الأهواء ، إلا أنه كان يتحرز من الخوض في هذه المسائل ، إلا إذا خلا المجلس من العامة (6).

(1) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص: 121.

(2) الإمام مالك : هو أبو عبد الله بن أنس بن أبي عامر ، ولد سنة 93 هـ / 712م بالمدينة المنورة ، كان فقيها ومحدثا ، وأسس مذهباً شاع إعتناقه في العديد من الأمصار ، توفي في عام 179هـ / 795م ، ينظر: أبو فرج عبد الرحمان الجوزي : صفة الصفوة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ( د . ط ) ، ( د . ت )، ص: 120.

(3) الفريد بيل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم ، تر: عبد الرحمان بدوي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي، ط2 ، 1981م ، ص- ص: 240-241.

(4) سوادى عبد محمد وصالح عمار الحاج : دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ، القاهرة ، المكتب المصري ، ط1، 2004م ، ص: 158.

(5) أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الغزالي : إجماع العوام عن علم الكلام ضمن مجموعة من رسائله ، بيروت، دار الكتب العلمية ، ( د . ط ) ، 1986م ، ص : 93 .

(6) القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تح: أحمد أحمد بكير محمود ، بيروت، دار مكتبة الحياة، ( د . ط ) ، 1968م ، ج1، ص: 9.

ولم يكن هذا المسلك من ابن تومرت والذي عده خصومه من فقهاء المالكية خروجاً عن المؤلف من أهل عصره ، ليظهر عن مقتضيات دعوته السياسية التي كانت في انطلاقتها الأولى تفتقر إلى دعم العامة ، فكان هذا الأسلوب يظهر مكانة وجدارة صاحبها العلمية وذلك ليدعم بها حركته .<sup>(1)</sup>

ومما تجدر إليه الإشارة هو أن المرابطين إهتموا بالعديد من العلوم العقلية والنقلية ونبغ فيها الكثير من الشخصيات<sup>(2)</sup>، حيث برز في الفقه وعلوم الحديث الكثير من العلماء ، كما ظهر في علم القراءات والتفسير أبو بكر محمد بن علي المعافري . وأما فيما يتعلق بالعلوم العقلية فقد إزدهر عندهم الطب ونبغ فيه بعضهم<sup>(3)</sup> ، واهتموا كذلك بالأدب ، حيث إزدانت عاصمة الدولة المرابطية بطائفة من كتاب الأندلس ، كان من أبرزهم محمد بن أبي الأخطل . وقد أبدعوا في فن الترسل الأدبي والديواني ، وكان لهم تأثير بالغ على أدباء المغرب وشعرائه ، والذين كان من أحفظهم أبو جعفر بن عطية<sup>(4)</sup> في النثر وابن الكتاني في الشعر .

وعلى غرار ذلك فقد أولى المرابطون أيضاً عناية فائقة بعلوم التاريخ والجغرافيا ، حيث ظهر من بين المؤرخين ابن الصيرفي الغرناطي<sup>(5)</sup> صاحب كتاب : >> الأنوار الجلية الجلية في أخبار الدولة المرابطية << ، وبرز من الجغرافيين البكري والإدرسي<sup>(6)</sup> وغيرهما . وقد أبدع المرابطون كذلك في مجال الحساب والهندسة ، حيث كان من أشهر

(1) عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت : المرجع السابق ، ص: 259.

(2) بوبة مجاني وآخرون: التيارات السياسية والدينية وتأثيرها على نظم الحكم في بلاد المغرب والأندلس ، الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث ، (د.ط) ، 2007م ، ص: 202.

(3) رايح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته ، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،(د .ط) ، 1968م، ص: 335.

(4) أبو جعفر بن عطية : هو عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية، وهو قُدوة المفسرين، كان فقيهاً ومحدثاً ومفسراً وأديباً، ولد سنة 480هـ/1087م ، توفي في 15 رمضان 551هـ/1156م . ينظر: جلال الدين عبد الرحمان الأسيوطي : طبقات المفسرين ، طهران ، كتاب فروشي أسدي ، ( د . ط ) ، 1960م ، ص- ص: 16-17.

(5) ابن الصيرفي الغرناطي: هو يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري الغرناطي المعروف بابن الصيرفي ، كان كاتباً للأمير محمد بن تاشفين والي غرناطة ، وكان شاعراً فصيحاً . ينظر: خير الدين الزركلي : المرجع السابق ، ج 8 ، ص: 164.

(6) الإدريسي : هو محمد بن محمد بن عبد الله إدريس الإدريسي الحسني الطالبي، مؤرخ من أكابر العلماء بالجغرافيا ، من أدارسة المغرب الأقصى ، ولد بسبته عام 493هـ/ 1100م ، ونشأ وتعلم بقرطبة . و قام بتأليف كتابه الجغرافي المعروف . توفي سنة 560 هـ/ 1165م . ينظر: خير الدين الزركلي : نفس المرجع ، ج 7 ، ص : 24.

علماء الرياضيات ابن مرانة السبتي<sup>(1)</sup> وغيره . كما تم تطوير مجال الفلسفة وعلم الكلام والتصوف ، وظهر العديد من أعلام هذه العلوم مثل ابن باجة أبوبكر محمد بن يحيى السرقسطي<sup>(2)</sup> . وبرز يوسف بن الكلبي الضرير<sup>(3)</sup> ، وكذا يوسف بن الزيات التادلي<sup>(4)</sup> ، في كتابه المتصوف الذي جعله تحت عنوان : <<التشوف إلى رجال التصوف >><sup>(5)</sup> .

## 2- فكر ابن تومرت وعقائده :

لقد حظي الفكر التومرتي باهتمام العديد من الباحثين ، حيث أقر البعض أن ابن تومرت قد بلغ درجة الإستقلال في النظر والتحرر<sup>(6)</sup> ، و لقد تعددت مشارب ابن تومرت الفكرية وهذا نظرا لتأثير الرحلة العلمية التي دامت 10 سنين ، على قول أغلب الباحثين في فكر ابن تومرت . ومن هذه المشارب نذكر :

### - المذهب المالكي :

ضمت قائمة شيوخ العلم الذين تلقى عنهم ابن تومرت في رحلته أسماء ثلاثة من فقهاء المالكية ، وهم ابن حمدين فقيه قرطبة ، والمازري<sup>(7)</sup> فقيه المهدية ، والطرطوشي فقيه الإسكندرية . وقد ظهر أثر ذلك فيما بعد ، كالإقرار بحجية عمل أهل المدينة وإقباله ، على الإعتناء بتدريس موطأ الإمام مالك في صيغته المعدلة تحت إسم << محاذي الموطأ >> .

(1) ابن مرانة السبتي: هو أحمد بن جعفر الخروجي أبو العباس السبتي المراكشي ، ولد في سبتة وانتقل إلى مراكش ، كان متصوفاً وأديباً فصيحا، توفي سنة 601 هـ/1205م . ينظر: خير الدين الزركلي: نفس المرجع، ج 1، ص: 107.

(2) ابن باجة: هو محمد بن يحيى بن باجة ، وقد عرف بابن الصائغ . من فلاسفة الإسلام ، و ينسب إلى مذهب التعطيل، ولد في قسنطينة ، واستوزره أبو بكر بن إبراهيم على غرناطة ، مات بفاس سنة 533 هـ/1139م . ينظر: خير الدين الزركلي : المرجع السابق ، ج 7 ، ص: 137.

(3) يوسف ابن الكلبي: هو أبو الحجاج عالم بالنحو الإعتقاد ، يقطن بسرقسطة ، توفي بغرناطة سنة 520 هـ/1126م . ينظر: خير الدين الزركلي : نفس المرجع ، ج 8، ص: 254.

(4) يوسف بن الزيات التادلي : هو أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى التادلي ، نسبة إلى تادلة بين مراكش وفاس ، كان عالما في النحو والصرف ، ثم اتجه إلى التصوف ، و له كتاب في شرح مقامات الحريري . ينظر: عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط 1، ج 5 1982م ، ص : 657 .

(5) رابح بونار : المرجع السابق، ص : 336.

(6) عبد المجيد النجار: الإجتهد عند المهدي بن تومرت ضمن كتابه فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي، 1992م ، ص: 85.

(7) المازري : هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي ، ولد بصقلية عام 453 هـ/1061م ، كان محدثا و فقيها مالكيا بارزا، ثم استقر بالمهدية ، وتوفي بها عام 536 هـ/1141م . ينظر: خير الدين الزركلي : المرجع السابق ، ج 6، ص : 177 .

ويذهب البعض إلى أنه لم يقصد ذلك سوى ترضية الإتجاه المالكي السائد ، حيث كان الفقهاء المالكية أنهم كلما جاء أحد من المشرق بعلم دفعوا في صدره وحقروا من أمره ، إلا أن يستتر عندهم بالمالكية ، ويجعل ما عنده من علوم على رسم التبعية<sup>(1)</sup> . ولقد ذهب بعض الباحثين إلى إثبات الإنتماء المالكي لابن تومرت ، بل منهم من ذهب إلى حد الجزم بأنه نشأ مالكيا وعاش مالكيا ومات مالكيا .<sup>(2)</sup> ومع ذلك فقد كان هناك موقف وسط ، حيث أن ابن تومرت كان أقرب إلى المالكية في أصولها عند مؤسسها ، من حيث أنها تجري على منهج تأصيل الحكام على أدلتها من نصوص القرآن والحديث و الإجماع وهو ما يجعلنا على نعتقد أن ابن تومرت ، وإن كان يدين للمذهب المالكي على الأقل في تكوينه الفقهي ، إلا أنه لم يقع تحت أي ضغط حتم عليه تقديم تنازل ، بل لعله كان يدرك أكثر أن التسليم ببعض مقررات المذهب المالكي والنكوص عن بعضها الآخر لم يكن يشفع له عند فقهاء المذهب الذين ما كان ليرضيه ذلك .<sup>(3)</sup>

#### - العنصر الشيعي :

يرى بعض المؤرخين أن ابن تومرت كان يبطن شيئا من التشيع ، غير أنه لم يظهر منه للعامة شيئا<sup>(4)</sup> ، كما أبدا ذلك الذهبي حيث كان أكثر وضوحا في قوله: " إنه من رأيه القول بعصمة الإمام على رأي الإمامية من الشيعة " .<sup>(5)</sup> كما يرى البعض من منطلق أن الحركات الثورية التي قامت في تاريخ الإسلام ، تبنت دائما الإيديولوجية الشيعية<sup>(6)</sup> ، وذهب البعض الآخر إلى أكثر من ذلك ، حيث عمدوا إلى الإعلاء من شأن حضور المؤثرات الشيعية في فكره ، وراح يلتمس من القرائن ما يدل على وقوع ابن تومرت تحت تأثير دعاة الباطنية الإسماعلية في المشرق ، والذين يعتقد أنهم إستوعبوه ضمن إحدى

(1) أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري ابن العربي : العواصم من القواصم ، تح : عمار طالبي ، الجزائر ، الشركة الوطنية ، ط2 ، 1981م ، ص- ص : 490-491.

(2) عبد الله علي علام: الدعوة الموحدية بالمغرب ، القاهرة ، دار المعرفة ، (د. ط) ، 1964م ، ص- ص : 304-306.

(3) عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت : المرجع السابق ، ص : 505.

(4) عبد الواحد مراکشني: المصدر السابق، ص : 168.

(5) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي : العبر في خبر من غير ، تح : محمد السعيد زغول، بيروت، دار الكتب العلمية(د.ط)، 1985، ج6، ص : 267 . وينظر: القلقشدي أبو عباس : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ، ج5، 1914م ، ص: 136.

(6) توما إميل : الحركات الإجتماعية في الإسلام ، بيروت ، دار الغرب ، (د. ط) ، 1980م ، ص: 88.

تنظيماتهم السرية<sup>(1)</sup> ، ويستدلون في ذلك أنه في أيام الخليفة العباسي المستظهر بالله<sup>(2)</sup> ، وهو ما يوافق وجود ابن تومرت في المشرق ، حيث إمتلأت بالأفكار الباطنية<sup>(3)</sup> ، أما عن تأثيره بالمقررات الشيعية في قضية الإمامة و العصمة ، فنستشف ذلك من قول ابن تومرت في رسالة له عن الإمامة . فيقول : >> هي ركن من أركان الدين ، وعمدة من عمدة الشريعة ، ولا يصلح قيام الحق في الدنيا إلا بوجود إعتقاد الإمامة في كل زمان من الأزمنة ، إلى أن تقوم الساعة . ما من زمان إلا وفيه إمام لله قائم بالحق في أرضه ... ولا يكون الإمام إلا معصوما من الباطل .... معصوما من الضلال ... معصوما من الجور ..<<<sup>(4)</sup> ، ومثل هذا الكلام في الإمامة والذي لا يكاد يخرج عن كلام الشيعة ، هو ما يؤكد من تقاطع الفكر التومرتي مع الفكر الشيعي في مسألة القول بالإمام المعصوم .<sup>(5)</sup>

و إننا في خضم كلامنا عن الإمامة كما عرفها ابن تومرت ، فهي تعني الإلتباع و الإقتداء والسمع والطاعة والتسليم والإمتثال للأمر وإجتنباب النهي والأخذ بسنة الإمام في القليل والكثير . و يظهر أن ابن تومرت لم تكن تهمة الدلالة النظرية للإمامة وإنما كان يهيمه المنحى العملي لها ، و الذي يتجلى في الإطار السياسي .<sup>(6)</sup>

كما يظهر أيضا حسب ماساقه ابن تومرت في تعريفه للإمامة ، إلى أن العصمة التي إدعاها لنفسه هي درجة وسطى بين عصمة الشيعة التي أثبتوها للإمام ، وبين شروط الإمامة التي وضعتها سائر الفرق الإسلامية فيما يتعلق بالعلم والعدالة .<sup>(7)</sup> ، كما برز البعد

(1) إسماعيل محمود : فكرة التاريخ بين الإسلام والماركسية ، القاهرة ، ( د . ط ) ، 1988م ، ص- ص : 134-136 .

(2) المستظهر بالله العباسي : هو أبو عباس احمد بن محمد بن القائم ، ولد عام 470هـ / 1077م ، تولى الخلافة العباسية في عام 487هـ / 1094م ، كان كريم الخلق وحازما في شؤون الحكم ، وله معرفة بالأدب . توفي عام 512 هـ / 1118م . ينظر: خير الدين الزركلي : المرجع السابق، ج1، ص : 158 .

(3) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي : سير أعلام النبلاء ، تح : شعيب الأرنؤوط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ( د . ط ) ، ج 19 ، 1985م ، ص : 403 .

(4) محمد بن تومرت : أعز ما يطلب ، تح : عمار طالبي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ( د . ط ) ، 1985م ، ص : 299 .

(5) الإدريسي علي : الإمامة عند ابن تومرت ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ( د . ط ) ، 1991 ، ص : 136 .

(6) Goldziher, Ignas : mohammed Ibn Toumert et theologie de l'islam dans le nord l'alfrique au XI<sup>e</sup> secles, alger : imprimerie , orientale Pierre fontana, 1903, P 91 .

(7) عبد المجيد النجار : المهدي بن تومرت ، المرجع السابق ، ص : 252 .

السياسي لدعوى الإمام المعصوم في منظومة الفكر التومرتي ، وهو ما يجعلنا نقول أن ابن تومرت قد كان بحق نموذجا ساطعا حاول أن يقيم السلطة على العصمة .<sup>(1)</sup>

### - العنصر الأشعري :

يعتقد أكثر المؤرخين و الباحثين أن ابن تومرت كان على مذهب أبي الحسن الأشعري<sup>(2)</sup> ، في أكثر المسائل ، وهذا ما يؤكد ابن خلدون في قوله : " وحملهم على القول بالتأويل والأخذ بمذهب الأشعرية في كافة العقائد " <sup>(3)</sup> . وفي الحقيقة أن ابن تومرت كان مصدرا مهما من مصادر الأشعرية في بلاد المغرب ، فهو وافقهم في بعض آرائهم ، و لكنه خالفهم في كثير من المسائل ، ومن أكثر المسائل التي توافق فيها معهم ، هو مسألة القدرة والإرادة الإلهية والفعل الإنساني والعقاب والثواب والرؤية . ومن القضايا التي اختلف فيها مع الأشعرية منها الصفات في علاقتها بالذات الإلهية ، وكذلك التكليف بما لا يطاق وحكم مرتكب الكبيرة .<sup>(4)</sup>

وقد كانت طريقة ابن تومرت الأشعرية نظرية قياسية تأويلية في تعريف الخالق وصفاته ، لذلك نراها تنفي أكثر مما تثبت كما بين ذلك ابن تيمية<sup>(5)</sup> . كما تجدر الإشارة إلى علاقة آراء المهدي بن تومرت بالغزالي أبي حامد باعتباره أبرز أساتذته وأحد أعمدة المذهب الأشعري . فإلى أي مدى تأثر التلميذ بأفكار أستاذه ؟ وإلى أي حد حدث بينهما توافقا ؟

فيظهر التأثير في نزعة التحرر العقلي وطرح التقليد، خاصة في المسائل الذاتية مثل طريقة إثبات رؤية الله عز وجل ، و الإعلاء من شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبعض المسائل الأصولية الجزئية الأخرى . أما إذا ذهبنا إلى المفارقات بين الرجلين ، فنجد منها مسألة الإمامة ، حيث أن الغزالي شديد العداء لمسائل المهدوية والعصمة ، كما يبدو شديد العداء للثورة على الإمام ، لما تؤدي إليه من الفتنة ، وهذا خلافا

(1) الإدريسي علي : المرجع السابق ، ص: 175 .

(2) أبي الحسن الأشعري: هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق ، ولد بالبصرة عام 260هـ/874م ، نبغ في علم الكلام ، وأسس مذهباً كلامياً خاصاً به ، وألف العديد من الكتب ، وتوفي سنة 324هـ/936م . ينظر: خير الدين

الزركلي: المرجع السابق، ج4، ص : 263.

(3) عبد الرحمان بن خلدون : كتاب العبر ، المصدر السابق ، ج6 ، ص : 466 .

(4) عبد المجيد النجار : المهدي بن تومرت ، المرجع السابق ، ص: 357.

(5) عبد الله العروي : مجمل تاريخ المغرب ، بيروت ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، ج2 ، 1994م ، ص:146.

لابن تومرت ، الذي جعل المهديوية والعصمة والثورة على الإمام أساساً لفكره السياسي .<sup>(1)</sup> كما أن الغزالي كان داعية في خدمة سلطة معينة ، و نحن نقصد هنا الخلافة العباسية والسلطة السلجوقية ، ولم يكن يفكر في تأسيس كيان سياسي جديد ، وهذا بدليل ميولاته الصوفية الإنعزالية والمتزهدة ، رغم هذا وضع أسس دعاية كلامية ناجحة مبنية على قواعد التلقين وقوانين التدرج في طرح الحقيقة حسب الموهبة والإستعداد عند الملتقي لذلك ، هذه القواعد هي التي طبقها ابن تومرت لنشر دعوته ، و الفرق الوحيد بينهما في ذلك هو أن الغزالي إكتفى بدور المعلم وخدمة السلطة ، على عكس ابن تومرت .<sup>(2)</sup>

### - العنصر الإعتزالي :

إن المنتبع لأراء ابن تومرت فيما أفرزته من عناصر مذهبية ، والتي من بينها الفكر الإعتزالي ، فإن عبد الواحد المراكشي الذي عد ابن تومرت أشعريا في أكثر المسائل فقد إستثنى من ذلك موقفه من مسألة الصفات ، فهو يراه وافق المعتزلة في نفيها<sup>(3)</sup> ، وإن ما يؤكد إعتزالية ابن تومرت الرواية التي إنفرد بها ابن القلانسي ، حيث يقول : " إن ابن تومرت لما نزل المهديّة دعا أهلها إلى بناء قصر ، بنية أن يعبدوا الله فيه بالفكرة " ، ولقد تجاوب بعض الفقهاء والمشايخ لهذه لفكرة ، إلى أن قام من بينهم من نبهم ونهاهم عن ذلك ، فعادوا حينئذ عنه وأبطلوا ما كادوا يفعلون .<sup>(4)</sup>

ومما يمكن أن تفسيره من لفظة << الفكرة >> ، هو أنها تعبر عن تفكير تجريدي خاص ، وهو ما يتناسب وصورة الإغراق في التنزيه ، الذي هو سمة عقيدة المرشدة التومرتية<sup>(5)</sup> . ويبدو أن هذه النزعة إلى الإغراق في التنزيه كانت وراء زج ابن تومرت في الدائرة الإعتزالية ، مع أنه لا يمكن تناول هذا الجانب من فكر ابن تومرت خارج السياق الإيديولوجي ، الذي ذكرت فيه أدلته المعرفة بحقيقة التنزيه ، ولا بمعزل عن المرابطين وفقهائهم ، و هم المخاطبين في هذه الحال ، حيث إتهمهم ابن

(1) عبد المجيد النجار : المهدي بن تومرت ، لمرجع السابق ، ص:360.

(2) عبد الله العروي : المرجع السابق ، ج 2 ، ص:147.

(3) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ص:162.

(4) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، تح: سهيل زكار ، دمشق ، دار حسان ، ( د . ط ) ، 1983 م ، ص: 454.

(5) عبد الرحمان بدوي : تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى النهاية القرن الثاني ، الكويت ، وكالة المطبوعات ،

ط 2 ، 1978 م ، ص: 70.

تومرت بالتجسيم<sup>(1)</sup> . كما ذكر الذهبي في هذا الصدد قوله : " سمى ابن تومرت المرابطين بالمجسمين ، وما كان أهل المغرب يدينون إلا بتتزيه الله تعالى عما لا يجب ووصفه بما يجب له ، مع عدم خوضهم فيما يقتصر القول عن فهمه"<sup>(2)</sup> .

ولقد رد ابن تيمية على ابن تومرت في قوله : " إستحل دماء ألوف مؤلفة من أهل المغرب المالكية .. فزعم أنهم مشبهة مجسمة ، ولم يكونوا من أهل هذه المقالة ، ولا يعرف عن أحد من أصحاب مالك إظهار القول بالتشبيهة و التجسيم"<sup>(3)</sup> .

### - العنصر الظاهري ( الحزمي ) :

يظهر تأثر ابن تومرت بالعنصر الظاهري عند بعض المؤرخين ، و ذلك عن طريق تعلمه في الأندلس<sup>(4)</sup> ، ويعتبر هذا سببا كافيا لتأثر ابن تومرت بالفكر الظاهري<sup>(5)</sup> . كما يظهر التأثير واضحا فيما يتعلق بالعقيدة ، وذلك في مسألة الصفات الإلاهية ، فقد حاول كل من ابن حزم وابن تومرت حل المسألة التي تتعلق بأسماء الله تعالى ، بالإضافة إلى تقرير صفة الإرادة الإلاهية ، وتحديد إسم مرتكب الجريمة ، كما إشتراك القول في مسألة نبذ القياس ، و هذه المسألة إختلف فيها العديد من علماء المسلمين ، حيث نرى أن المالكية وسائر أصحاب المذاهب الفقهية الأخرى ؛ تقر بإثبات القياس في الأحكام ونفيه في التوحيد ، في حين تمسك الظاهرية بنفيه ، فدعى كل منهما ، أي الظاهرية وابن تومرت إلى الرجوع للقرآن والحديث والإجماع ، لإستنباط الأحكام الشرعية منها مباشرة<sup>(6)</sup> .

غير أن إلتقاء ابن تومرت مع ابن حزم في تبني إبطال القياس ، ليس دليلا قاطعا على القول بظاهرية ابن تومرت . إذ أن الرجلان إفتراقا واضحا ، من حيث أن ميول ابن تومرت لحجية عمل أهل المدينة على نحو ما قدره أكثر فقهاء المالكية ، في

(1) عبد المجيد النجار : تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت ، المرجع السابق ، ص:92.

(2) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، المصدر السابق ، ج19 ، ص:550.

(3) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب : عبد الرحمان بن القاسم ، الرباط ، مكتبة المعارف ، ج 11، (د ، ط ) ، ص:478.

(4) إبن حزم الأندلسي : هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، ولد بقرطبة عام 384هـ /994م ، وكان فقيها ، أسس مذهبا خاصا به ، وله العديد من المصنفات في التاريخ والدين ، توفي عام 456هـ / 1064 م . ينظر: خير الدين الزركلي: المرجع السابق ، ج4 ، ص:255.

(5) بالنثيا أنجل جنثالت : تاريخ الفكر الأندلسي ، تع : حسين مؤسس ، القاهرة ، مكتبة الثقافة ، (د ، ط) ، 1955 م ، ص 238.

(6) عبد المجيد النجار : المهدي بن تومرت ، المرجع السابق ، ص:361.

المقابل كانت أكثر الأصول المذهبية المالكية عرضة لانتقادات ابن حزم وتحامله عليها، كما نجد في الإعتقاد الأشعري الذي يعتبر ابن تومرت من الذين حملوا لوائه في بلاد المغرب، كان في المقابل ابن حزم من ألد خصومه (1).

ومما سبق ذكره يدفعنا إلى القول إلى أن ابن تومرت قد أدرك بأن الإختلافات العقيدية والفقهيّة، لها دخل في قيام الدول وزوالها، وهي سبب في تشتيت المسلمين بوقت كان فيه من الواجب قيام الوحدة الإسلامية خاصة ضد أعدائها، لهذا رام مذهباً عقائدياً وفقهياً موحداً للأمة في دولة واحدة يقضي على الشتات والفرقة، سواء في المغرب أو في المشرق، وبما أن بلاد المغرب هي أرض خصبة وساحة فكرية فنية، نظراً لما يعمّها من جمود رأي ابن تومرت، أن يلمّ شتات المذاهب في مذهب واحد (2).

## المبحث الثاني : الخلفيات والمنطلقات العامة للتغيير عند ابن تومرت

### المطلب الأول : الخلفيات السياسية والعسكرية

1- لقد كانت طبيعة نظام الحكم في دولة المرابطين تتسم بالطابع المركزي، حيث أن الحاكم كان هو المسؤول على كافة شؤون الدولة بصفة مباشرة تقريباً (3)، وهو ما يعني أنه لم يكن في أبجديات نظام الحكم ما يوحي بإمكانية منح إستقلال ذاتي لقبائل

(1) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط3، ج 1، 1990 م، ص - ص: 202 - 203.

(2) بوبه مجاني و آخرون : المرجع السابق، ص : 259.

(3) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص: 86.

بلاد المغرب ، وهذا ما نظر إليه ابن تومرت على أنه نوع من التضييق على ممارسات الناس داخل القبيلة ، إبتداءا بالتضييق على شيخ القبيلة في تبوأ مكانته المفترض أن يحصل عليها ، من خلال فسح المجال له لإدارة شؤون القبيلة . وإن فكرة الإكتفاء بتحقيق الولاء السياسي وجباية الضرائب من طرف القبائل لم تكن مقنعة بالنسبة للمرابطين ، كما أنه من جهة أخرى ، فقد تسببت المركزية في بروز مطامع لدى بعض القواد العسكريين والقضاة والولاة الإداريين ، للتمكن من الحكم والسيطرة ، أضف إلى ذلك فإن هذا النظام يجعل شخص الحاكم بمثابة الرأس بالنسبة للجسد ، فإذا تم التمكن من قطعه ولم يخلفه قائدا من حجمه ، فإن الدولة ستتهار (1) .

2- إن الإنفصام الذي حدث بين عامة الناس وبين نظام الحكم المرابطي ، كان له تأثير بالغ على تماسك الدولة ، وقد برز هذا الإنفصام في عدة مظاهر، كان من بينها عدم تحالف الكتلتين في مجابهة هجمات النصارى بالأندلس ، ويمكن تفسير ذلك على اعتبار سياسة التعنت والإقصاء والتهميش التي مارسها الأمراء والولاة المرابطون مع عامة المجتمع ، كما أن عدم توصل المرابطين إلى إرساء جهاز حكومي قوي قادر على صرف كافة سكان المغرب إلى الإنقياد وراء نفوذ سياسي واحد ، أعتبر هذا نقطة ضعف في برنامج السياسة المرابطية من وجهة نظر ابن تومرت (2) .

3- إن تدهور العلاقة وغياب عنصر الثقة بين الأمير المرابطي و ولاياته وقضاته ، أدى ذلك إلى إنطباع صورة سلبية في أذهان العامة عن طريق ابن تومرت ، ومن بين المظاهر التي تجلّى من خلالها سوء العلاقة - حسب ما صوره ابن تومرت - بين الطرفين ، هو نقص هيبة الأمير- باعتباره الرجل الأول في هرم السلطة - حيث أن

(1) عبد الكريم غلاب : قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط 2 ، ج 2 ، 2005 م ، ص - ص : 221- 222 .

(2) شارل أندري جوليان : تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس ، الجزائر ، المغرب الأقصى ، من الفتح الإسلامي سنة 1830 م ، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة ، تونس ، الدار التونسية للنشر، (د،ط) ، ج 2 ، 1979 م ، ص : 121.

قاضي ألمرية أبو عبد الله بن الفراء<sup>(1)</sup> ، حينما طلب منه الأمير المرابطي تقديم المعونات من طرف الأندلسيين لتغطية العجز المالي والعسكري<sup>(2)</sup> ، كان رد القاضي ينبأ عن تحول واضح في سلطة الحاكم المرابطي ، وذلك من خلال رفض أبو عبد الله الفراء للطلب ، وطالبه القاضي في المقابل بالدخول إلى جامع مراكش ، وأن يقسم أمام الملاء بأنه لا يملك أي درهم في بيت المال ، ومن ثم يتم النظر في الأمر ، فنفذ الأمير ما طلب منه<sup>(3)</sup> .

والجدير بالذكر هو أنه إذا سلمنا بأن التصرف الذي قام به القاضي هو تصرف شرعي ، فهذا يعني أن الأمير علي قد تجاوز مسألة شرعية ، سواء كان قصدا أو عن غير قصد . ومن بين تجليات إنعدام التلاحم بين الطبقتين كذلك ، نجد تقاعس جيش بالنسبة<sup>(4)</sup> عن نجدة أهل سرقسطة<sup>(5)</sup> من هجمات النصارى<sup>(7)</sup> ، وهو ما يعود حسب إعتقادنا إلى إحتمالين لا خير في كليهما ، فالإحتمال الأول ربما يكون لعدم وجود التنسيق بين القيادة العليا المتمثلة في شخص الأمير ، وبين قادة الجيوش في المدن الأندلسية ، وأما الإحتمال الثاني فربما يكون نظرا لأن قادة الجيوش والولاة والقضاة عموما ، لم يعودوا يستجيبون لتعليمات القيادة العليا ، ومما ورد في رسالة الأمير علي إلى قائد جيش بالنسبة قوله : " يافرقة خبثت سرايرها و إنتكثت مرايرها .... فقد أن للنعم أن تفارقكم وللأقدام أن تطأ مفارقكم حين ركبتموها جلواء عارية ..... أي بني اللئيمة و أعيار الهزيمة ، إلى ما يريكم الناقد ويردكم الفارس الواحد ..... وأيم الله نقسم إنذارا

(1) أبو عبد الله بن الفراء : هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان ، كان قاضيا على ألمرية في عهد يوسف بن تاشفين وإبنه علي ، كما إختص في علم الحديث والقراءات . توفي بعد عام 500هـ ، ينظر : شكيب أرسلان : الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، مصر ، المطبعة الرحمانية ، ج1 ،  
(2) أحمد بن محمد المقرئ التلمساني : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تح : إحسان عباس، بيروت ، دار صادر، (د.ط) ، ج 4 ، 1988م، ص : 357.  
(3) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، (د.ط) ، 2008م ، ص : 654.  
(4) بلنسية: من أعلى المدائن الأندلسية غربيها بلاد الروم ، وقد جدد بنائها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في سنة 494 هـ ، وهي أرض طيبة ودار علم وفقه و أدب . ينظر: مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، المصدر السابق ، ص : 73 .  
(5) سرقسطة: بفتح السين والراء ، وهي بلدة مشهورة بالأندلس ، تتصل أعمالها بأعمال تطيلة ، ذات فواكه كثيرة ، وتحاذي النهر الكبير. ينظر : ياقوت الحموي: المصدر السابق ، ج3، ص : 212.

بكم وإعذارا لكم : لنوردن الفار منكم الزحف ما عافاه من موارد التلف ، ولنتجاوز السوط إلى السيف .... " (1) .

4- إن إنغماس المرابطين منذ عهد الأمير علي بن يوسف (2) في البذخ والترف و الثراء الفاحش (3) ، كان ذلك من أهم المؤاخذات التي وظفها ابن تومرت في حملته الدعائية ضد سياسة المرابطين ، على اعتبار أنها كانت تتم على حساب طبقة عامة ، التي تعيش فقرا مدقعا ، مما يعني أن هناك إختلال في توزيع الثروات . كما أن إنشغالهم بالملاهي والملذات بحكم تأثير العقلية والثقافة الأندلسية (4) ، جعل من بلاط العاصمة مراكش مجالا لإلقاء القصائد الشعرية التي تمدح الأمير وحاشيته ، حيث تم إجراء العديد من المنافسات الشعرية بين الشعراء وأدباء القصر الأميري ، ومن أبرزهم أبو القاسم بن الجد (5)

5- ، وأبو محمد عبد المجيد بن عبدون (6) وغيرهم .

6- وقد إنعكست هذه الوضعية التي كان عليها المسؤولون على هيبة الدولة بالسلب وأدى إلى ضعفها ، حيث كانت إحدى الأمور التي تسببت في مجانبة الجد والحزم في إدارة شؤون البلاد والعباد (7) .

7- إن فساد الجهاز الإداري في دولة المرابطين ، وإقبال الكثير من المسؤولين على ممارسة الرشوة ، وتوظيف ذوي القربى في المناصب الحساسة ، على الرغم من

(1) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ص:84.

(2) الأمير علي بن يوسف: هو أبو الحسن بن يوسف بن تاشفين اللمتوني، ولد عام 477هـ/1084م، تولى دولة المرابطين عام 500 هـ . كان يتسم بالحلم والوقار، وقد شارك في العديد من المعارك ضد الفرنج في شمال الأندلس . توفي عام 537هـ/1143م ، ينظر: خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج5، ص : 33.

(3) أحمد بن خالد الناصري السلاوي: الإستقصاء الدول المغرب الأقصى ، تح : محمد عثمان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، (د . ط) ، ج 2 ، (د.ت) ، ص : 22.

(4) حسان حلاق : دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية ، بيروت، دار النهضة العربية، ط2، 1999، ص : 329..

(5) أبو القاسم بن الجد: هو محمد بن عبد الله بن الجد الفخري، أصله بن لبلبة ، تولى منصب الإفتاء فيها ، ثم إنتقل إلى إشبيلية وتولى فيها الوزارة على عهد يزيد الراضي ، وبعدها الكتابة في العاصمة مراكش، وقد كان محدثا وأديبا وشاعرا. توفي عام 515 هـ/1121 م ، ينظر: أبو نصر الفتح بن محمد القيسي الإشبيلي بن خاقان : قلاند العقيان في محاسن الأعيان ، تق : محمد العناني ، تونس ، 1966 م ، ص : 77 .

(6) أبو محمد عبد المجيد بن عبدون: هو عبد المجيد بن عبدون الفهري اليابري، ولد عام 1060م، وقد كان شاعرا وأديبا ومؤرخا، كما تولى الكتابة في بطليوس ثم في العاصمة مراكش . توفي بيبارة عام 529هـ/1136. ينظر: عمر (1) عمر فروخ : المرجع السابق ، ج5 ، ص : 192 .

(2) إبراهيم القادري بوتشيش : مباحث في التاريخ الإجتماعي للمغرب و الأندلس خلال عصر المرابطين ، بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط 1 ، 1998 م ، ص : 131 .

عدم كفاءة بعضهم ، كانت خلفية أخرى أراد ابن تومرت أن يخرج بها المرابطين ، حيث أن ذلك إمتد حتى إلى القضاء ، وقد حدث أن بعث الأمير علي بن يوسف برسالة<sup>(1)</sup> إلى أهل فاس يتدارك من خلالها أمرا خرج عن سيطرته ، فقد أعلن عن عزل قاضيهم بن المجلوم<sup>(2)</sup> ، على اعتبار أنه أساء القضاء فيهم ، ولم تكن له دراية كافية لإدارة شؤون القضاء<sup>(3)</sup>، ومما ورد في رسالته إليهم قوله : " أبقاكم الله وأكرمكم بتقواه ، ويسر لكم مايرضاه ، وقد أنهى إلينا وتحقق لدينا أن الجهول ابن المجلوم أجهل بأحكام القضاء من العلجوم ، وأنه أظهر فيكم أحكاما يترحم من مثلها على سدوم ، فقد ولينا خطة الملووم ونبذنا بالعراء وهو مذموم ، وجعلنا شهب العزلة لشياطينه كالرجوم ، ولعل متعسفا يتعسف أو متكلفا يتكلف ، يلومنا في تقديمه ويناالنا من العتب بأليمة ، فقد أختار رسول الله (ص) لوهي الله .....لعين بني سرح ، وقد إختار عثمان بحمران .... " (4) .

8- تعتبر سياسة المرابطين مع مثري الفتن والقلقل ، خصوصا في الأندلس هي مرآة عاكسة لمدى التسامح الذي يبديه النظام مع هؤلاء<sup>(5)</sup> ، ويمكن تفسير ذلك على أنه دلالة على عدم سياسة الحزم والجدية ، وكذا غياب الحنكة والصرامة في التعامل مع هذه الظروف المحيطة ، على الرغم من خطورتها على الوضع العام ، وهو ما يفقد هيبة النظام ، وبالتالي فقدان السيطرة فيما بعد . وقد فهم بعض المؤرخين ذلك على اعتبار خلفية حياة الدعة و الإنغماس في الملاهي والملذات من طرف الأمير وحاشيته قد أوهنت في قمع مثل هذه الفتن<sup>(6)</sup> .

(3) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: تاريخ المغرب والأندلس ، القاهرة ، مكتبة نهضة الشرق ، (د.ط) ، (د.ت) ، ص : 261.

(4) القاضي بن المجلوم: هو أبو موسى عيسى بن يوسف الأزدي، من أعيان فاس ، تعلم بقرطبة على يد أبي علي الغساني، ثم عاد وتولى القضاء بفاس . توفي في رجب 543 هـ . ينظر: ابن الضبي : المصدر السابق، ص : 116 .

(5) ماهر حمادة : الوثائق السياسية و الإدارية في الأندلس وشمالي إفريقيا – دراسة ونصوص - ، بيروت ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط2 ، 1986م ، ص : 310 .

(1) ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تح : إحسان عباس ، بيروت، دار الثقافة ، ط2، ج4 ، 1998م ، ص:92.

(5) ابن الأثير: المصدر السابق ، ج9، ص:199 .

(6) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي : المرجع السابق ، ص:261.

ومن زاوية أخرى يمكن القول بأن الانقلاب الذي حدث على مستوى شخصية الأمير علي بن يوسف بتحويله إلى حياة التبتل والعبادة فيما بعد ، قد صرفته عن مباشرة شؤون الدولة بالشكل الذي ينبغي أن يكون عليه ، وهو ما يفهم منه أنه هروب من مواجهة الوضعية المتأزمة في العدو الأندلسية ، كما أن هذا الإهمال لشؤون الرعية كان له صدى و إرتجاجات سلبية على مستوى القبائل بشكل عام<sup>(1)</sup> .

7- إن سقوط سرقسطة و طليطلة<sup>(2)</sup> في يد النصارى بسبب عمالة عماد الدولة<sup>(3)</sup>، وإنحيازه لملك قشتالة في عام 512هـ/ 1118م ، دفع ذلك ثمنه المرابطون ، وكان ذلك على عهد الأمير علي بن يوسف ، حيث أن عماد الدولة يعتبر تابعا لسلطة المرابطين ، وهو ما استخدمه ابن تومرت كورقة سياسية ضاغطة على معنويات وسياسة الحكم المرابطي ، ومشوهة لصورته في بلاد المغرب والأندلس<sup>(4)</sup> .

8- إن توالي الهزائم على دولة المرابطين من طرف الممالك الإسبانية على عهد علي وخلفائه ، جعل نظام الحكم في وضع حرج ، حيث صورته للناس في موقف ضعف ، وهو ما يعني إنتهاء صلاحية هذا النظام ، نظرا لعجزه عن تحقيق إنتصارات حاسمة على هجمات النصارى ، وربما يعود ذلك إلى ما يلي :

- طبيعة الحياة العسكرية داخل دولة المرابطين ، حيث أن الجند كان بمثابة قوة حربية ينبغي أن توجه لمحاربة النصارى في شمال العدو الأندلسية ، وكذا على الثغور الشرقية والجنوبية للدولة ، وقد كان هذا المبدأ معمولا به في نظام الجيش منذ إرساء قواعد الدولة المرابطية على يد يوسف بن تاشفين ، وذلك باعتبار أنها دولة دينية قامت على أساس الرباط والجهاد<sup>(5)</sup> .

(1) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج4، ص: 400.

(2) طليطلة: مدينة كبيرة ذات خصائص محمود بالاندلس ، وهي غربي بلاد الروم وكانت قاعدة الملوك القرطبيين

وموضع قرارهم وهي على شاطئ نهر تاجة. ينظر: البيهقي: المصدر السابق، ص 194 .

(3) هو عبد الملك بن أحمد بن يوسف الجذامي ، كان أحد أمراء الدولة اليهودية سنة 503 هـ ، و توفي سنة 513 هـ /

1119 م . ينظر : خير الدين الزركلي : المرجع السابق ، ج 4 ، ص : 156

(4) عصام محمد شبارو: الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود (91 هـ - 897 هـ) ، بيروت ، دار

النهضة العربية ، ( د . ط ) ، 2002 م ، ص : 253

(5) يوسف علي بدوي : المرجع السابق : ص - ص : 143 - 144 .

- إن كون الجيش المرابطي بمثابة قوة عسكرية تسعى إلى الكسب والإرتزاق من خلال عمل الجنود في الجيش ، يقلل هذا من حماسهم للقتال ، وقد ظهر ذلك جليا خصوصا بعد إرهاب الدولة ماليا وماديا ، من طرف الممالك النصرانية في زحفها على بلاد الأندلس ، حيث أصبح هناك فقر في الموارد ، مما أدى بنظام الحكم إلى تخفيض النفقات العينية والنقدية على الجنود على عهد الأمير أبو الحسن حيث أصبحوا يتقاضون مبالغ مالية زهيدة<sup>(1)</sup>.

- هناك ظاهرة برزت على عهد الأمير علي بن يوسف تتعلق بالجيش المرابطي ، تتمثل في أنه تم إدخال بعض العناصر النصرانية للجيش ، على الرغم من حساسية مثل هذا الإجراء ، وهو ما يعتبره ابن تومرت وصمة عار على جبين المرابطين ، مهما كانت المبررات لإتخاذ ذلك الإجراء ، ومع مرور الزمن وتطور الأوضاع أصبح لهم نفوذ قوي ، وذلك نظرا لما كان يحبوهم به الأمير علي من ثقة وحماية ، وبالتالي كان هذا ظرفا مناسباً لكي يمارسوا عملهم بكل حرية ، فعاثو فسادا ، وأساءوا معاملة البربر ، وهو ما نجم عنه تدمرا شديدا الأثر ، و واسع النطاق في المغرب والأندلس ، على اعتبار أن هذه المسألة كما أشرنا آنفا هي فكرة شبه محضورة من حيث أصلها ومبدئها الشرعي<sup>(2)</sup>.

### المطلب الثاني: الخلفيات الاقتصادية والاجتماعية :

1 - لقد كان لسياسة التقشف التي اعتمدها الدولة المرابطية ، ابتداءا من عهد علي بن يوسف ، تداعيات خطيرة على الوضع العام داخل الدولة ، حيث أنه بنقص الموارد تحتم على الدولة أن ترسم سياسة جبائية لكي تحقق بها توازنا ماليا واقتصاديا وعسكريا ، فكان منها فرض ضرائب متنوعة على المجتمع الفقير لتغطية النفقات ، وخصوصا على أهل الأندلس<sup>(3)</sup>، حيث تم تجاوز النظم المالية الشرعية المتمثلة في الزكاة والأعشار وأخماس

(1) محمود السيد: المرجع السابق : ص : 112 .

(2) رشيد بورويبة وآخرون: الجزائر في التاريخ - العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني ، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، (د.ط)، 1984م ، ص : 331 .

(3) المقرئ : المصدر السابق ، ج 4 ، ص : 357 .

الغنائم وجزية أهل الذمة ، فعرفت عندهم في تلك الفترة العديد من الإتاوات ، ومن بينها ضريبة التعتيب أو التعطيب .

وقد كانت تصرف مداخلها لترميم الحصون المهدامة من طرف النصاري ، وكذا لبناء أسوار جديدة بهدف تعزيز الخط الدفاعي لدى المسلمين ، والأكثر من ذلك هو أن من يقوم بجبايتها هي فرق نصرانية بالموازاة مع الفرق الإسلامية ، وهو ما أثار حفيظة الكثيرين . كما تجاوز المرابطون في جباية الموارد النقدية و العينية حتى مع أهل الذمة من اليهود ، حيث إنهم كانوا يحصلون منهم المال بشتى الطرق والوسائل ، وقد أحدث هذا الإجراء في عمومهم تدمرا كبيرا في وسط الرعية ، حيث نتج عنه ما يمكن أن نسميه بالغضب القبلي على هذه السياسة التعسفية من طرف النظام الحاكم والإدارة المسيرة (1) .

2- يعتبر النظام الأموسي (المارتريارقي) ، الذي كان يسود المجتمع البربري على عهد المرابطين ، من بين العوامل التي كان لها تأثير كبير على واقع السياسة المرابطية فيما بعد(2) ، حيث استطاعت المرأة بموجبه أن تكسب مكانة مرموقة داخل المجتمع المرابطي ، وهو ما يمكن تفسيره على خلفية حياة التنقل و الترحال التي ميزت قبائل الصنهاجيين ، وقد سنحت هذه الوضعية الاجتماعية للمرأة بأن تشارك في الأحداث على أصعدة شتى ، ومن أهم هذه الأصعدة التي تدخلت في شؤونها المرأة هي الحياة السياسية(3) ، بحيث كانت المرأة المرابطية وخصوصا تلك التي وجدت نفسها من حاشية النظام الحاكم – مصدرا للإملاءات والقرارات المتعلقة بمختلف القضايا(4) ، وهو ما جعل رجال الحكم في وضعية يمكن أن نسميها بوضعية الحاكم الشكلي ، وهو ما يعني أن المرأة أصبحت تحكم من خلف الستار، كما أن هذه المكانة التي حازتها المرأة المرابطية ، كان لها تأثيرا كذلك على وضعيتها داخل المجتمع بشكل عام ، حيث سنحت لها بالتححرر الذي أدى إلى التبرج والسفور ، واجتماعها بالرجال في العديد من المحطات ، وذلك دون حساب كبير للقيم المجتمعية والدينية ، ولعل

(1) رشيد بوروبية وآخرون: المرجع السابق، ص: 331.

(2) سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج4، ص: 400.

(3) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص: 199.

(4) السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص: 21.

من أبرز مظاهر سفور المرأة اللمتونية هو كونها لا تنتقب ، في حين أن الرجال كانوا ينتقبون ، وهو عرف شاع لدى الصحراويين عموماً<sup>(1)</sup> .

**3- تعتبر المنافسة القبلية<sup>(2)</sup> بين القبائل المغربية من أهم الأسباب التي ساعدت الموحدين بزعامة ابن تومرت على الإطاحة بحكم المرابطين ، الذين كانوا من حلف صنهاجة ، ومن أقوى فروعها نجد قبيلة لمتونة<sup>(3)</sup> . وباستيعاب الدولة المرابطية للأراضي التي كانت تسيطر عليها فروع قبيلة مصمودة ، ودخولها في طاعة ابن تاشفين وتجنيدهم في الجيش ، لم تستغ ذلك القبائل المصمودية ، إذ أنهم لم يرضوا أن يكونوا تحت حكم الصحراويين الملتهمين ، وخصوصاً أنهم يعتبرون أنفسهم أهم القبائل شأنًا ، فهم أغنى بلادا وأعز نفرا<sup>(4)</sup> . إضافة إلى أن المرابطين قد بنوا عاصمتهم مراكش في مناطق إنتشار المصامدة ، التي تمتد من شمال المغرب حتى جنوبه السهلي على المحيط ، وإلى سهول مراكش والسوس ، وهي منطقة خصبة تجتذب إليها المتعاملين الإقتصاديين من مختلف المناطق القاحلة<sup>(5)</sup> . ولعل النفوذ والسلطان الذي حازته قبائل وفروع أخرى من المصامدة كان له تأثير قبلي كبير ، متمثلاً في إحساسهم بالاعتزاز والمجد على حساب المرابطين ؛ حيث سبق أن كون البرغواطيون دولة سيطرت على رقعة شاسعة من المغرب ، و ادعى زعيمهم صالح بن طريف<sup>(6)</sup> المهدوية والنبوة ، ثم شرع ديانة لقومه . واستمر الملك في آل صالح عقودا (حوالي 250 سنة) ، حتى قضى عليهم المرابطون<sup>(7)</sup> . وعلى العموم فإن النجاح الذي لقيه المرابطون في إقامة دولتهم على يد عبدالله بن ياسين كان**

(1) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج 4 ، ص : 400 .

(2) ونقصد بها العصبية القبلية التي تنشأ داخل البيئات الريفية بالخصوص ، وهي تعتبر عاملاً موحداً لأفراد المجتمع ، إلا أن ذلك لا يكون إلا ضمن القبيلة الواحدة . ينظر : عبد الغني مغربي : الفكر الإجتماعي عند بن خلدون ، تر : محمد الشريف بن دالي حسن ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ( د . ط ) ، 1986م ، ص : 115 . و علي سعد الله : الدولة في الفكر الخلدوني ، دار محب لاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1 ، 2003 م ، ص : 90 .

(3) عبد الكريم غلاب: المرجع السابق ، ج2، ص: 155.

(4) يوسف علي بدوي: المرجع السابق ، ص: 162.

(5) عبد الكريم غلاب: المرجع السابق ، ج2، ص: 156.

(6) صالح بن طريف البرغوطي: هو متنبئ من قبيلة برغواطة بالمغرب الأقصى ، ادعى النبوة في 127هـ / 745م ، وشرع ديناً جديداً لأهل المغرب ، وقام بتأسيس كيان سياسي دام 47 عاماً . ينظر: خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج3، ص : 192.

(7) عبد الكريم غلاب: المرجع السابق ، ج2، ص: 157.

محركا للمصامدة في أن يقيموا لأنفسهم دولة تضاهيهم ، فقد كانوا جاهزين لأي إشارة ضدهم ، حتى أتاحت لهم الظروف ذلك من قبيلة هرغة<sup>(1)</sup> التي ينتمي إليها ابن تومرت<sup>(2)</sup> .

إذن فقد كان البعد القبلي حاضرا بقوة في إدارة الصراع بين الطرفين ، حيث أن العصبية القبلية كانت من أبرز خلفياته ومنطلقاته ، ولعل أبرز دليل على ذلك هو أن أول من أيد ابن تومرت في الانقلاب على سلطة المرابطين هم المصامدة ، الذين كانوا يشكلون أصله وموطنه بمنطقة السوس ، وذلك على اعتبار أنه قدم لهم مفاجأة سارة لطلما انتظروها طويلا من شخصية يمتلك المؤهلات لتحقيقها ، وهو ما يعكس لنا مدى ترابط التركيبيية الاجتماعية المصمودية في سبيل تحقيق مستقبل زاهر للحلف المصمودي . كما لا يعدم أن نقول هذا الكلام أيضا عن المرابطين ، حيث أنهم في المقابل تكتلوا لأجل بقاء قبيلتهم في طبقة الأسياد ، على حساب أي كان ، سواء من المصامدة أو غيرهم .

### المطلب الثالث: الخلفيات الدينية والثقافية :

1- تعتبر المكانة السياسية والدينية التي كان ينبغي أن يحوزها أي حاكم مسلم بشكل عام والأمير المرابطي بشكل خاص من أبرز مسائل الخلاف المتعلقة بالقضايا السياسية ، والتي تم إثارتها عمليا من طرف محمد بن تومرت والفقهاء المالكية على عهد بن يوسف ، حيث أن ابن تومرت كان يرى جواز الخروج على الحكام ، بواسطة إعلان الثورة ضده إذا ما دعت الحاجة واقتضى الأمر لذلك ، وقد استند في التدليل على موقفه ورؤيته على العديد

(1) هرغة: وهي قبيلة المهدي ابن تومرت ، وهي قليلة العدد بالنسبة لغيرها من قبائل الموحدين ، إلا أنها احتلت مكانة مرموقة في مجتمع الموحدين بفضل انتساب بن تومرت إليها . ينظر: عبد الرحمان بن خلدون: كتاب العبر، المصدر السابق ، ج 6 ، ص- ص: 266-267.

(2) يوسف علي بدوي: المرجع السابق ، ص: 162.

من القرائن المستمدة من الكتاب والسنة. (1) ولعل من أبرزها قول النبي (ص) : " أعظم الجهاد كلمة حق عند ذي سلطان دائر " . (2)

وقد تم توجيه معاني مثل هذه الدلائل وإثارها من طرف دعاة المعارضة ، وأكدوا على مشروعيتها وضرورة العمل لها(3) ، ومن أبرز الفرق والمذاهب التي اعتمدت فكرة جواز الخروج عن طاعة الحكام نجد المعتزلة والخوارج والشيعة الزيدية(4) ، وأما الفقهاء المالكية فإنهم لا يرون جواز الخروج عن الحاكم سواء كان عادلا أو جائرا ، ومهما كان مستواه في الأداء السياسي والإداري، وهم بذلك يؤكدون بأن طاعة الأمراء المرابطين واجبة، والانصياع إليهم أمر لازم التنفيذ ، وقد تمت الإشادة بمثل هذه المسائل من قبل الأطراف المنحازة للسلطة الحاكمة ، وهم يستدلون في ذلك ببعض الآثار الإسلامية المتمثلة في بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية (5) ، منها قوله تعالى : " وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم " (6) ، كما استدلوا كذلك بقول منسوب للإمام مالك يقول فيه : " سلطان جائر سبعين سنة خير من أمة سائبة ساعة من نهار " (7) ، وغيرها من الأدلة . وهو ما جعل الفقهاء المرابطين ينعنون كل من يفكر في الخروج عن طاعة السلطان ونقض بيعته بأنه خارجي ، وهو مصطلح له مدلول سياسي يقصد به مخالفة أوامر وتعليمات السلطان. (8)

والجدير بالذكر هو أن موقف الفقهاء المالكية الذي كان منسجما ومتجانسا مع التيار المرابطي ، يمكن تفسيره على أساس أن المذاهب السنية عموما ، تتحفظ عن التصريح بمبدأ الخروج على الحاكم ، بيد أن ذلك لا يمثل نظرة متأصلة في قواعد ومبادئ المذهب المالكي بقدر ما كان يعبر عن التسليم بالشرعية السياسية الحاكمة، وأن الحياد عنها

(1) جوزيف شاخت وكليفورد بوزورت: تراث الإسلام ، تر: حسين مؤنس وإحساس صدقي العهد ، مر: فؤاد زكرياء ، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ط3 ، ج2 ، 1998م ، ص : 116.

(2) محمد ناصر الدين الألباني : سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها و فوائدها ، الرياض ، مكتبة المعارف ، (د.ط) ، مج1 ، (د.ت) ، ص: 491.

(3) جوزيف شاخت وكليفورد بوزورت: المرجع السابق ، ج2 ، ص: 116.

(4) ابن حزم الظاهري: الفصل في الملل والأهواء والنحل، بغداد، مكتبة المثنى ، (د.ط.)، ج4 ، (د.ت) ، ص : 171.

(5) جوزيف شاخت وكليفورد دبوزورت : المرجع السابق ، ج2 ، ص: 125.

(6) سورة النساء : الآية 59.

(7) القاضي عياض: المصدر السابق ، ج2 ، ص : 493.

(8) أبي الفتح محمد بن عبد الكريم أبي بكر أحمد الشهرستاني : الملل والنحل ، تح : صدقي جميل العطار، بيروت، دار الفكر العربي، (د.ط.)، ج1، (د.ت)، ص : 105.

قد يؤدي على انبثاق فتن وقلاقل تفتك بالأوضاع العامة ، كما أنها خطوة احتمالية ونسبية غير مضمونة العواقب ، وذلك نظرا لطبيعة المسألة السياسية التي يكتنفها التعقيد والغموض في جل جوانبها وحيثياتها. (1)

2- يمكن اعتبار طبقة الفقهاء المالكية على عهد المرابطين بأنها بمثابة طبقة أرستقراطية ، وقد كان ابن تومرت يماثلها في أهميتها بالطبقة الحاكمة ، حيث كان للفقهاء رأي نافذ في السلطة المرابطية، وأكسبتهم سياسة الأمير المرابطي معهم مكانة ووجاهة راقية(2) ، وشيئا فشيئا أصبحوا بمثابة مستشارين فعليين ودائمين في كافة شؤون الدولة ، وهكذا أثبتوا لأنفسهم سلطة للتحكم والتصرف في مختلف قضايا البلاد والعباد الدينية والدنيوية ، وهذا على الرغم من فقرهم في دراية شؤون السياسة والإدارة وعدم إتقانها(3) ، حيث أنهم تولوا العديد من المناصب السياسية واستغلوها مع الدين لخدمة أغراض اعتبرها ابن تومرت مصالحا شخصية(4) ، وهو ما جعل الفقهاء المرابطين يبلغون مبلغا كبيرا من الغنى والبذخ ، وأصبحوا يتناولون في البنيان الفخمة (5) ، وقد صور لنا الشاعر أبو جعفر أحمد بن البني وضعية الفقهاء المرابطين ، حيث قال فيهم :

أهل الرياء ليستموا ناموسكم      كالذئب أدلج في الظلام العاتم  
فملكتم الدنيا بمذهب مالك      وقستم الأموال بابين القاسم  
وركبتمو شهب الدواب بأشهب      وبأصبغ صبغت لكم في العالم(6)

3- يرى ابن تومرت أن شرط قيام أي دولة إسلامية هو وجود زعامتين ، زعامة سياسية وأخرى دينية ، وهو ما لم يكن متوفرا عند المرابطين ، حيث أن الفقهاء والعلماء المرابطين الذين كان لهم نفوذ في السلطة ، لم يكونوا أعلام دينيين حقيقيين، وإنما هم مجرد رجال دين يتكلمون في بعض القضايا الفقيهية فقط ، وبالتالي لم تكن لهم مكانة دينية حقيقية مستقلة .

(1) ثابت عادل فتحي: شرعية السلطة في الإسلام، الإسكندرية ، دار الجامعة الجديدة ، (د. ط) ، 1996 ، ص : 149.

(2) عبد الواحد المركشي: المصدر السابق ، ص: 81.

(3) بوبة مجاني وآخرون: المرجع السابق ، ص: 242.

(4) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي : المرجع السابق ، ص: 261.

(5) السلاوي: المصدر السابق ، ج1، ص: 143.

(6) رابع يونار: المرجع السابق ، ص: 443.

وإذا صح لنا أن نعطي تفسيراً لهذه المسألة المتعلقة بطبيعة نظام الحكم المرابطي ، فإنه يمكننا اعتبار مكانة الأمير المرابطي تمثل زعامة سياسية ودينية في ذات الوقت<sup>(1)</sup> .

4- تعتبر مسألة الولاء الديني والسياسي للخلافة العباسية في المشرق ، إحدى تلك الخلفيات التي عكست لنا تبايناً في نظرة كل من المرابطين وابن تومرت حول طبيعة العلاقة التي ينبغي أن تصاغ مع العباسيين ، وهو ما يمكن أن يكون منطلقاً لابن تومرت لترسيم نظريته ميدانياً . وباستطاعتنا توضيح ذلك من خلال مايلي :

- أولاً: لقد اتسمت العلاقات السياسية بين الخلافة العباسية والمرابطين منذ تأسيس دولتهم على يد عبد الله بن ياسين بالودية وإعلان التبعية ، حيث أنه فيما بعد منح يوسف بن تاشفين الولاء والطاعة للعباسيين إقراراً لمكانتهم السياسية وإحتراماً لمنزلتهم الروحية<sup>(2)</sup> ، حتى أنه بعد بسط سيطرته ونفوذه على بلاد المغرب والأندلس، وخصوصاً بعد انتصاره في معركة الزلاقة عام 468 هـ/1076م ، طلب منه الفقهاء أن تكون توليته من قبل الخليفة العباسي المستظهر بالله ، لكي تجب طاعته على الجميع ، فنزل عند طلبهم ، وتم إرسال وفد إلى الخليفة العباسي لإيصال رسالة طلب التقليد بالسلطة على بلاد المغرب والأندلس<sup>(3)</sup> ، مرفوعة ببعض الهدايا وقد وافق الخليفة على تولية يوسف كأمر على تلك البلاد<sup>(4)</sup> ، وكان من مظاهر الولاء والتبعية التي أقرها المرابطون للخلافة العباسية ، أن الحاكم المرابطي لم يلقب نفسه بالخليفة<sup>(5)</sup> ، وقد رد يوسف بن تاشفين على أحد من حاشيته يوماً ، حينما حينما طلب منه أن يلقب نفسه بالخليفة . فقال له : " حاشا لله أن نتسمى بهذا الاسم ، وإنما خلفاء بني العباس ، لكونهم من تلك السلالة الكريمة ، ولأنهم ملوك الحرمين والمدينة ، وأنا راجلهم والقائم بأمرهم " .<sup>(6)</sup>

(1) بوبة مجاني وآخرون: المرجع السابق ، ص- ص: 193-194.

(2) سوادى عبد محمد وصالح عمار الحاج : المرجع السابق ، ص: 159.

(3) ابن الأثير: المصدر السابق ، ج5، ص: 199.

(4) مجلة المناهل : (دراسة حول رسائل ابن العربي ) ، العدد 9 ، السنة الرابعة ، 1977م ، ص : 160.

(5) مؤلف مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، الدار البيضاء ، دار الرشد الحديثة ، (د.ط.)، 1979م ، ص - ص: 64-65.

(6) أحمد مصطفى متولي : بداية الأيام ونهاية الزمان في تاريخ الإسلام ، مر : عبد الواحد بن محمد بيبصار ، القاهرة ،

دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، ط 1 ، ج 2 ، 2008 م ، ص : 278 .

كما أنهم استخدموا السواد شعاراً لهم<sup>(1)</sup> ، وقاموا بنقش اسم الخليفة على السكة<sup>(2)</sup> ، وتم إقرار الدعاء للخليفة العباسي في خطب الجمعة والأعياد . والجدير بالذكر فإن المرابطين كان في إمكانهم التخلص من التبعية للخلافة العباسية ، إذا ما وضعنا القرائن والدلائل الموضوعية في الاعتبار ، حيث أن سلطان المرابطين أصبح يضاهي - بل يفوق سلطة العباسيين - في تلك الفترة ، فقد أصبح شخص الخليفة لا يملك من السلطان إلا الاسم<sup>(3)</sup> .

- **ثانياً :** فيما يتعلق بنظرة الموحدين ، التي أبداهها محمد بن تومرت للخلافة العباسية ، فقد إتسمت بالعدائية وخلع الشرعية عنها ، ويتضح لنا ذلك منذ أن كان ابن تومرت يؤدي مناسك الحج بمكة في حجته الثانية ، حيث أعلن تدمره من الأوضاع الفاسدة في الخلافة العباسية، وهو ما أدى إلى سجنه هناك ، وقد استمرت هذه النظرة وتجسدت بشكل فعلي وحقيقي بعد تأسيس الدولة الموحدية ، من خلال إنكار وإبطال البيعة للعباسيين بتلقب ابن تومرت بالإمام المهدي، وتلقب خلفائه من بعده بالخلفاء.<sup>(4)</sup>

5- لقد كان الفكر العقدي لدى المرابطين يمتاز بالانغلاق والجمود، إذ أنه اتسم بالقراءة الحرفية للنصوص الشرعية ، رافضاً بذلك للتأويلات التي تتخذ منحى عقلاني ، وهو ما يعني أنهم اكتفوا بظاهر النص ، على نحو ما قرره الإمام مالك في حديثه عن استواء الله على العرش ، حيث يقول : " الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة " ، ونتيجة لذلك قاوم فقهاء المرابطين علم الكلام وأهله<sup>(5)</sup> .

ويقول المراكشي في هذا الصدد : " ودان أهل ذلك الزمان في تكفير كل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام، وكراهة السلف له ، وهجرهم لمن ظهر عليه شيء

(1) يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تر و تع : محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط2 ، ج 1 ، 1996م ، ص : 91 .

(2) حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى ، القاهرة ، (د) .

(د) ، (د . ط) ، 1957م ، ص : 335 .

(3) علي محمد الصلابي: فقه التمكين عند دولة المرابطين ، القاهرة ، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2006م ، ص : 137 .

(4) داود عمر سلامة عبيدات : المرجع السابق ، ص: 16 .

(5) عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت ، المرجع السابق ، ص: 52 .

منه، وأنه بدعة في الدين ، وربما أدى أكثره إلى اختلال في العقائد ... حتى استحکم في نفسه بعض علم الكلام وأهله ، فكان يكتب عنه في كل وقت على البلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء منه ، وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه " (1).

6 - إن انحصار الدراسات الدينية لدى الفقهاء المالكية عموماً في علم الفروع ، سواء ما تعلق منها بالعقيدة أو الفقه ، جعل أبو حامد الغزالي يشن حملة عليهم وعن طرقهم الجدلية العقيمة (2) ، وهو ما بينه في كتابه " إحياء علوم الدين " ، حيث كان يرى أن الفقه ليس هو الدين وأنه لا يعد من علوم الآخرة ، بل هو علم يختص بالدنيا ، وهو ما كشف عنه بقوله : " الفقه ... تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل ، إذ خصصوه لمعرفة الفروع الغربية في الفتاوى " (3) ، وهذا ما جعل حكام المرابطين يقرون بتحريم قراءة وتداول كتاب الإحياء ، وأملوا بإحراقه وإحراق جميع كتب الغزالي بالمغرب والأندلس ، خشية أن يتسرب منها بعض المواضيع المحضرة من وجهة نظر المرابطين (4) ، حيث بعث علي بن يوسف برسالة إلى أهل بلنسية جاء فيها : " ومتى عثرتم على كتاب بدعة أو صاحب بدعة ، وخاصة - وفقكم الله - كتب الغزالي ، فليتبّع أثرها وليقطع بالحرق المتتابع خبرها... " (5) .

(1) عبد الواحد مراكشي: المصدر السابق ، ص- ص: 236-237.

(2) عمر الجبدي: مباحث في المذهب المالكي بالمغرب ، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة ، ط1 ، 1993 م ، ص : 147

(3) أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ، المصدر السابق ، ج2، ص : 41 .

(4) الفريد بيل : المرجع السابق ، ص : 244 .

(5) عبد الله العروي : المرجع السابق ، ج2، ص: 129.

## المبحث الأول: آليات الصراع السلمي

### المطلب الأول: المناظرات والحرب الدعائية

#### أ- المناظرات :

لم تكن عودة ابن تومرت من بلاد المشرق سنة 510هـ / 1116م ، بعد غياب دام حوالي عشرة سنوات ، لتثير حولها اهتمام لدى حكام الدول الصنهاجية الثلاث الزيرية والحمادية والمرابطية ، والتي كانت تتقاسم بلاد المغرب ، ولا لدى فقهاء الذين كانوا يحضون بالرعاية في ظلها، لولا ما أبداه ابن تومرت من حرص متزايد في تتبع المنكرات المنتشرة ، ولتأنيبه للفقهاء عن سكوتهم عنها<sup>(1)</sup> . حيث كان كما يصفه بن خلدون : " وانطلق راجعا بحرا متفجرا وشهابا واريبا من الدين " <sup>(2)</sup>

ويتجلى علم ابن تومرت في مواقفه الجريئة في تلك المناظرات ، وبين فقهاء عدد من المدن التي زارها ، ففي المهديّة أزعت مواقفه الجريئة الأمير الزيري علي بن يحيى بن تميم <sup>(3)</sup> ، فهم بالإيقاع به ، إلا انه رأى أن يواجهه بالفقهاء<sup>(4)</sup> . ثم نزل في بجاية حيث استاء منه الأمير الحمادي العزيز بن المنصور بن الناصر<sup>(5)</sup> ، وعندما أغلظ ابن تومرت في القول أحضر له الأمير الفقهاء " فناظروه وساءلوه في جرأته على الملوك " <sup>(6)</sup> .

وعندما حل ابن تومرت بفاس بدأ كعادته بتغيير المنكر، الأمر الذي جعل الوالي يشيعه الفقهاء لمناظرتة ، حيث يقول المراكشي : " فصرت له مناظرة كان له الشفوف فيها والظهور ، لأنه وجد جوا خاليا ، وألغى قوما صياما عن جميع العلوم النظرية ، خلا علم الفروع فلما سمع الفقهاء أشاروا على الوالي بإخراجه من البلد لئلا يفسد عقول العوام" <sup>(7)</sup> .

(1) البيدق: أخبار المهدي بن تومرت ، المصدر السابق ، ص - ص : 31-46.

(2) علي بن يحيى بن تميم الصنهاجي: هو أبو بكر الحسن ، ولد عام 479هـ/1086م ، كان واليا على صفاقس ، وفي عام 509هـ/1115م . تولى حكم بني زيري ، وتوفي عام 512هـ/1119م . ينظر: ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق، ج1، ص : 306.

(3) عبد الرحمان بن خلدون : كتاب العبر، المصدر السابق ، ج6، ص : 267.

(4) العزيز بن منصور بن الناصر الحمادي : ولد في عام 481هـ/1188م، تولى ولاية الجزائر على عهد والده ، وبعد وفاة أبيه في 498هـ/1105م إعتلى حكم الحماديين ، وقد كانت له علاقات وطيدة مع الفقهاء . ينظر: عبد الرحمان بن خلدون : كتاب العبر، المصدر السابق ، ج6، ص:176.

(5) ابن القطان: المصدر السابق، ص - ص : 92-93.

(6) عبد الرحمان بن خلدون : المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 267.

(7) عبدالواحد المراكشي : المصدر السابق، ص : 184.

ولما وصل إلى مراكش في منتصف الربيع الأول سنة 515 هـ، نزل بمسجد صومعة الطوب وهناك واصل دعوته القائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإراقة وتكسير آلات الطرب<sup>(1)</sup>، وفي الجمعة الأولى لوصوله توجه إلى المسجد الجامع ، وهو نفس الجامع الذي اعتاد علي بن يوسف أمير المرابطين الصلاة به ، فجلس ابن تومرت في الصف الأول على مقربة من المنبر ، وهو نفس المكان الذي يجلس فيه أمير المرابطين ، فحاول خدمة الجامع إقناع ابن تومرت بترك هذا المكان المخصص للأمير المسلمين، ولكن ابن تومرت تمنع عن ذلك ، وتلى عليهم قول تعالى: ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾<sup>(2)</sup> .

وعند وصول الأمير علي بن يوسف قام إليه الحاضرون ، ما عدا ابن تومرت الذي بقي مكانه ، فلما قضيت الصلاة سارع ابن تومرت إلى مصافحة الأمير، ثم أمره بأن يغير المنكر ببلاده لأنه هو المسؤول عن رعيته ، فلم يجبه الأمير ، ولكنه لم يكذب يدخل قصره حتى أرسل إلى ابن تومرت يسأله إذا كانت له حاجة يقضيها له ، فأبدى ابن تومرت تزهده وترفعه في طلب شيء من حوائج الدنيا ، مشيراً بذلك إلى أنه لا هدف له سوى تغيير المنكرات.<sup>(3)</sup>

وفي أحد الأيام تقابل ابن تومرت مع أخت أمير المسلمين في موكبها ، ومعها جواريتها الحسان ساحرات على عادة المرابطين ، فأنكر ابن تومرت عليهن هذا السفر وأمرهن بستر وجوههن ، وضرب هو وأصحابه دوابهن حتى سقطت أخت أمير المسلمين عن دابتها.<sup>(4)</sup>

هذا الأمر أحدث بلبلة في أوساط المرابطين ، مما دعى أمير المسلمين علي بن يوسف إلى جمع الفقهاء ، وتباحث معهم في شأن ابن تومرت فأشاروا عليه باستدعائه لمناظرتهم ، فاستقدمه كما استقدم فقهاء مراكش وطلبتها وأشياخ لمتونة وجمعهم في مجلسه

(1) ابن الأثير : المصدر السابق، ج 8 ، ص : 295.

(2) سورة الجن: الآية 18 .

(3) حمدي عبد المنعم محمد حسين: المرجع السابق، ص - ص : 94- 95.

(5) عبد الواحد ذنون طه: دراسات في تاريخ وحضارات المغرب الاسلامي، بنغازي، ليبيا، دار الكتب الوطنية، ط1،

2004م ، ص : 208.

، فلما غص المجلس بالحاضرين وقف الأمير وقال لهم : " إنما بعثت لكم لتختبروا أمره ، فإن كان عالماً إتبعناه وإن كان جاهلاً أدبناه " . (1)

وقد سجل لنا ابن أبي زرع تفاصيل المناظرة ، بشكل يكشف الفارق الكبير بين ما كان عليه جملة علم ابن تومرت من علم جدلي ، وما كان عليه ثقافة مالكية المرابطين ، حيث في البداية أكثروا الكلام بشكل غير منتظم ؛ فطلب منهم ابن تومرت أن يقدموا من يمثلهم في تقديم حجتهم. (2)

فانتدب الفقهاء أحد مقدميهم ، وهو الفقيه أبو بكر بن الأسود الغساني المري (3) ، هذا الأخير الذي بدأ يخاطب ابن تومرت : " ما الذي يذكر عنك من الأقوال في حق الملك العادل الحليم المنقاد إلى الحق " . فأجابه ابن تومرت بعد عد ثناءه على الأمير تملقا وتبجيلا له . وقال : " هل بلغك يا قاضي أن الخمرة تباع جهارا وتمشي الخنازير بين المسلمين وتؤخذ أموال اليتامى " . ثم سأله عن طريق العلم . هل هي منحصرة أم لا ؟ فأجابه : نعم . هي منحصرة في الكتاب والسنة والمعاني التي نبهت عليها ؛ فقال ابن تومرت : " إنما سألتك عن طريق العلم هل تنحصر أم لا ؟ " ، فلم يذكر إلا واحد منها ، ومن شروط الجواب أن يكون مطابقا للسؤال ، فلم يفهم قوله وعجز عن الرد ، فسأله ابن تومرت عن أصول الحق والباطل ، فعاد إلى جوابه ؛ ولما رأى ابن تومرت عجزه وعجز أصحابه عن فهم السؤال ومعرفة الجواب ، أخذ يوضح لهم طرق العلم ، فبهروهم بعميق معارفه واتساع ثقافته (4)؛ وكان أكثر من حضر ذلك المجلس من الفقهاء هم علماء الفروع ممن يجهلون علم الأصول القائم على دراسة الشريعة واشتقاقها من الكتاب والسنة ، ودراسة النصوص الشرعية والأدلة العقلية وتفاصيل العقائد وأصول الفقه ، أي مصادر الشريعة ، في حين تقتصر معارفهم على الفروع بدراسة فرائض العبادات والمعاملات وأحكامها.

كما يرجع البعض سبب تفوق ابن تومرت في مناظراته ، إلى اعتماده على علوم النظر في حواراته ، وهو ما كان ينعدم لدى محاوريه بحكم أن السلطة المرابطية كانت

(1) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص : 122.

(2) سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج 5 ، ص : 182.

(3) فقيه مشاور من بيت نبيه الذكر ، له رحلة إلى المشرق ، تولى القضاء في شرق الأندلس، ثم صرف عنه . ينظر: أبو القاسم خلف بن عبد الملك القرطبي بن بشكوال: الصلة ، تح: إبراهيم الأبياري ، القاهرة ، دار الكتاب المصري ؛ ج 3 ، 1989م ، ص : 849.

(4) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص : 122.

تحرم الانشغال بالفلسفة وبالعلوم العقلية ، ولم يكن يسمح إلا بعلم الفروع ، فقد كان ابن تومرت يحتاج باستخدام ما تعلمه من الغزالي من أفكار الأشاعرة .

أبدى ابن تومرت في هذه المناظرة تمسكه بأصول الشريعة إزاء الفقهاء المرابطين وأراد أن يبين جهلهم بمناهج الشريعة الحقيقية ، فجعل المناقشة تجري على الأصول لا على الفروع التي تعتمد على الأقوال المستخرجة (1) . ثم توجه ابن تومرت إلى أمير المرابطين وقال له : " وأنت وقد ظهرت بملكك المنكرات وفشت البدع ، وقد أمرك الله بتغييرها وإحياء السنة وإماتة البدعة . إن لك القدرة على ذلك ، وأنت المأخوذ به والمسؤول عنه " (2) . وإن كانت الروايات تجمع أن فقهاء مراكش عجزوا عن فهم مقالات ابن تومرت العقلانية ، التي وفد بها من المشرق ، فإنها إستثنت رجلا واحد منهم ، وهو مالك بن وهيب الأندلسي (3) ، الذي كان قد درس العلوم العقلية والنقلية ، كما كان له تحقيق بكثير من أجزاء الفلسفة ، وإن كان لا يظهر منها إلا ما هو متداول في ذلك الزمان . (4) حيث تنبه مالك بن وهيب إلى خطورة هذا الرجل وخطورة دعوته ، فنصح الأمير علي قائلا : " أيها الملك إن عندي لنصيحة إن قبلتها حدث عاقبتها ، وإن تركتها لن تؤمن غائلتها... إني خائف عليك من هذا الرجل ، وأرى أن تعتقله وأصحابه وتنفق عليهم كل يوم ديناراً لتكتفي شره ، وإن لم تفعل ذلك لتنفق عليه خزائنك كلها ثم لا ينفك ذلك " (5)

و روى صاحب كتاب الحل الموشية كلام ابن وهيب بقوله : " هذا الرجل اجعله في بيت من حديد ، وإلا ستنفق عليه بيتا من ذهب " (6) . لكن استقرار الأمر على طرد ابن تومرت ، وذلك نظرا لعدة اعتبارات ، منها أن الأمير ربما استعظم قتل هذا الرجل الصالح ، و لم يجد ضرورة لقتل رجل ناصح و واعظ ، وكان قد بكى تأثرا من وعظه ، وهكذا طرد ابن تومرت من مراكش كما سبق طرده من غيرها. (7)

(1) حمدي عبد المنعم محمد حسين : المرجع السابق، ص : 97.

(2) ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص : 174.

(3) هو فقيه حافظ وأديب حصل كثيرا من العلوم والمعارف ، وجمع بين المعقول والمنقول ، إلا أن الدراية كانت أغلب عليه من الرواية . استقدمه الأمير المرابطي إلى حضرة مراكش . ينظر: ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج 3 ، ص: 897.

(4) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص : 185.

(5) ابن خلكان: المصدر السابق ، ج 5 ، ص : 50.

(6) مؤلف مجهول: الحل لموشية ، المصدر السابق ، ص : 101.

(7) سعد زغول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج 5 ، ص : 184.

## ب - الحرب الدعائية:

لقد عمل ابن تومرت منذ البداية على بث دعاية سياسية مناهضة للمرابطين بين قبائل جبل درن ، و ذلك تمهيدا للدخول في مواجهة حاسمة معهم ، وكانت أساليب هذه الدعاية متنوعة ، فكان من بينها توظيف النصوص الدينية ، قصد تجريد سلطة المرابطين من مشروعيتها وإيجاد المبررات الشرعية للقيام عليها. (1) كما هجّاهم بعدة أوصاف محرّضة ، فنعتهم قبل وصولهم إلى السلطة بأنهم كانوا حفاة ، عراة ، عالة ، رعاء الشاه ، البهم ، الجهلاء . وبعد وصولهم إلى الحكم قال فيهم : " جاؤوا في آخر الزمان ، ملوك تطاولوا في البنيان ، يلدون مع الإماء ويستكثرون من الجوارى، صم، بكم عن الحق ، وليسوا أهلا لحفظ الأمانة الإلاهية ، نساؤهم متبرجات ويؤمنون بالتفكير المادي في أمور العقيدة ، والتي تتنافى مع عقيدة التوحيد ، كما اتهمهم بإبطال أحكام القرآن والسنة(2). وإلى جانب تلقيبهم بالمجسمين ، فقد لقبهم ابن تومرت كذلك بالزراجنة ، وهو نوع من الطيور له ريش أبيض وبطن أسود ، أي كناية على بياض ثيابهم وسواد قلوبهم(3)، وقد لجأ ابن تومرت إلى اعتماد أسلوب نكي في إيراد الأحاديث النبوية والاستدلال بها ، منها أحاديث عن فساد الزمان واختلال الأوضاع ، حتى استقر في أذهان الناس أن ما أنبأت به النصوص هو مطابق للواقع المعاش ، وصور لهم أن المخرج من هذا الواقع لا يكون إلا المهدي الذي سيملا الأرض قسطا وعدلا ، كما ملئت ظلما وجورا، وساق لهم أحاديث المهدي المنتظر ، حيث لا يدع مجالا للشك أنها تنطبق عليه(4)، لكنه كان يدرك أن الدولة المرابطية أعظم ما تكون قوة وأشد شوكة وأعز أنصارا وحامية(5).

(1) مؤلف مجهول: الحلل لموشية ، ص- ص : 82-83.

(2) يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، ( د . ط ) ، ج 1 ، 2007 م، ص 190:

(3) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ج1، ص : 185.

(4) ابن تومرت : المصدر السابق، ص- ص : 281-293.

(5) عبد الرحمان بن خلدون : المقدمة ، المصدر السابق ، ص : 33.

كما كان يدرك أن الدولة المرابطية كانت تستمد قوتها عن طريق تحالفها مع الفقهاء ، الذين بدورهم كانوا يمثلون هيئة لها رسوخ في المجتمع ، ولها سلطة معنوية كبيرة ونفوذ واسع في تسيير الحياة اليومية.<sup>(1)</sup>

ولقد تركزت سياسة ابن تومرت في حملته على الفقهاء المرابطين على ناحيتين : فالأولى كانت في الانتقاص من جدارتهم العلمية كما سبق الذكر ، إذ يقول عنهم : " تسموا باسم العلم ونسبوا أنفسهم إلى السنة ، وتزينوا بالفقه والدين " <sup>(2)</sup>، وهذا لم يكن يعترف به ابن تومرت ، وقد حاول تثبيت هذه النظرة التحقيرية للفقهاء ، كما نعتهم بأنهم في الغالب كانوا صياما عن جميع العلوم النظرية خلا علم الفروع<sup>(3)</sup>، وأما من الناحية الثانية ، فهي التشكيك في استقامتهم ، فوصفهم بالمتاجرة في العلم والدين وتسخيره في تأييد الحكام الظلمة ، مقابل ما ينالون من حطام الدنيا ، فهو نعتهم على أنهم تعلقوا بالكفرة أي الحكام المرابطين، وانحازوا إلى جانبهم لأجل أن: " يصلون بفتواهم إلى أباطيلهم وأهوائهم ... وأن يتحيلوا بذلك على ما في أيديهم ، وليصونوا بذلك دنياهم ... ولينالوا بذلك الحظ العاجل ويجمعوا به الحرام ... " <sup>(4)</sup> .

وأما عن النشاط الدعائي للفقهاء والمرابطين ضد حركة ابن تومرت ، فيبدو ذلك من خلال رسائل ابن تومرت ، وهي تلك التي بعثها إلى أنصار دعوته سنة 521 هـ / 1127م ، حيث خصص قسما منها لمهاجمة الفقهاء الذين نعتهم بأعوان الكفرة المثلثين ، والذين استفرغوا جهودهم في معاونتهم ، وأعانوا على باطلهم، ويقطعون الناس عن الحق (أي دعوة الموحدين) ، ويردونهم إلى نصره المرابطين ، كما تلبسوا على الناس بالزور وقالوا بطاعة المرابطين لازمة، وأشاعوا بأن الموحدين قاموا بتحريف الحق بالزور و البهتان .

(1) زبير محمد : الخلفية الاجتماعية والثقافية لحركة المهدي بن تومرت ، مجلة المناهل ، العدد 24 ، 1982 م ، ص : 103.

(2) البيدق : أخبار المهدي بن تومرت ، المصدر السابق ، ص - ص : 47-49.

(3) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ص : 160.

(4) ابن تومرت : المصدر السابق ، ص- ص : 245-262.

فهذا الاتهام المتكرر من ابن تومرت للفقهاء بالتدليس والتكتم على الحق ،  
لخير دليل على قوة الحملة الدعائية التي شنّها هؤلاء الفقهاء على ابن تومرت والتي  
عملت على تثبيت الولاء للدولة المرابطية. (1)

**المطلب الثاني: من مرحلة جمع الأنصار إلى البيعة**

**1- مرحلة جمع الأنصار:**

(1) البيدق : أخبار المهدي بن تومرت ، المصدر السابق ، ص : 140.

تعتبر مرحلة جمع الأنصار والمؤيدين لفكر ابن تومرت ونشاطه من أهم الخطوات الإعدادية لتنفيذ المشروع الموحي ، الهادف إلى الإصلاح وتغيير الأوضاع ، وإن كان هذا يقودنا إلى طرح إستشكال يخص حالة الثورة ، فهل كانت متخمرة في ذهنه منذ البداية – أي منذ إنطلاقه في عملية التكوين الشخصي ورحلته العلمية - ؟ أم أنها خطرت بذهنه بعد أن لاحظ مدى تأثيره في الناس ، والتفافهم حوله عقب عودته من رحلته ؟ ، ثم ما هو سقف هذه الأهداف والشروط ، التي كان ابن تومرت يسعى إلى تحقيقها في مواجهته للنظام المرابطي ؟ وعليه يمكن القول بأن ابن تومرت قد بدأ في استقطاب الدعم البشري منذ عودته من رحلته العلمية ، وهي تعتبر ثاني الإجراءات التحضيرية لإعلان انطلاق المشروع الموحي ؛ وقد تعزز دور هذه المرحلة أكثر منذ أن وطئت أقدام ابن تومرت أرض ملالة، والتقاءه هناك بعبد المؤمن بن علي الكومي (1) .

وقد أخذت قصة التقاء الرجلين اهتماما كبيرا لدى المؤرخين ، لما لها من تداعيات مهمة أثرت على تطور الأحداث فيما بعد ، حيث ذكر لنا البيدق أنه ذات يوم ، حينما كان ابن تومرت جالسا على حافة الطريق ، سمعه بعض الطلبة يقول: " الحمد لله الذي أنجز وعده ونصر عبده وأنفذ أمر " ، ثم اتجه نحو المسجد وصلى ركعتين . ثم قال : " الحمد لله على كل حال ، قد بلغ وقت النصر ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ، يصلكم غدا طالب طوبى لمن عرفه وويل لمن أنكره " (2) ، فاحترار الناس في عبارته . وقد كان عبد المؤمن بن علي في جولة لطلب العلم بحكم تعطشه إلى المزيد من العلوم والثقافات ، فخرج مع عمه قاصدا المشرق ، وعندما وصلا إلى متيجة(3) نزلا عند الفقيه أبي زكرياء ، وبعدها انتقلا إلى بجاية ، ونزلا بمسجد الريحانة(4)، وهناك سمعا الناس يتحدثون عن الفقيه السوسي محمد بن تومرت ، وكانوا يذكرونه بصلاح دينه وغازاة علمه وسعة فهمه لكتاب الله ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فتأقت نفس عبد المؤمن إلى لقياه ، فاستأذن من عمه ، فأذن له ، ولكن أوصاه بسرعة العودة ، وفي هذه السياق يروي لنا البيدق : " أنه لما جد

(1) سيأتي التعريف به في العناصر الموالية.

(2) البيدق: أخبار المهدي بن تومرت ، المصدر السابق ، ص: 32.

(3) متيجة: بفتح أوله وكسر ثانيه ، وهي بلدة في أواخر إفريقية من أعمال بني حماد ، وتمتد من أشير إلي جزائر بني مزغناي، بها نهر كبير وبساتين كثيرة . ينظر: الحموي :المصدر السابق، ج 5، ص:53.

(4) عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص: 288.

عبد المؤمن السير نحو الإمام في ملالة ، التقى في الطريق مع بعض الطلبة ، فسار معهم إلى أن بلغوا باب المسجد ، ولما رآه الإمام المعصوم . قال له : أدخل يا شاب ، فدخل فأراد أن يجلس في جماعة الناس ، فقال له المعصوم: أدن يا شاب ، فلم يزل يدنو من الإمام<sup>(1)</sup> والمعصوم بقربه حتى دنى منه ، فقال له المعصوم: " ما اسمك يا فتى ؟ فقال عبد المؤمن ، فقال له المعصوم : وأبوك علي ؟ قال : نعم ، فتعجب الناس ، فقال له : يا شاب من أين إقبالك ؟ قال له : من نضر تلمسان<sup>(2)</sup> من ساحل كومية ، فقال له : من تاجرا أم لا ؟ فقال: بلى ، فإزداد الناس تعجبا ، فقال له المعصوم: أين تريد يا فتى ؟ فقال يا سيدي نحو المشرق ألتمس فيه العلم ، فقال له : العلم الذي تريده بالمشرق قد وجدته بالمغرب ، ثم عرض عليه ابن تومرت أن يبيت عنده ، فوافق<sup>(3)</sup> .

ولما جن الليل طلب ابن تومرت من عبد المؤمن أن يناوله كتابا كان موجودا في إحدى الأوعية ، ثم طلب منه أن يسرج سراجا ، وقرأ عليه ابن تومرت : " لا يقوم الأمر الذي فيه حياة الدين ، إلا بعبد المؤمن بن علي سراج الموحدين " ، فذهل عبد المؤمن . وقال : يافقيه ما كنت في شيء من هذا، إنما أنا رجل أريد أن يطهرني الله من ذنوبي ، فقال له : " إنما تطهير الدنيا على يديك ، فطوبى لأقوام أنت مقدمهم وويل لقوم خالفوك أولهم وآخرهم ، وأكثر من ذكر الله يبارك لك في عمرك ويهديك ويعصمك مما تخاف وتحذر"<sup>(4)</sup>، وبعد ذلك عزم على توجه نحو المغرب الأقصى ، فمرا عبر عدة مدن قاما فيها بممارسة التعليم ، والأمر بالمعروف والنهي بالمنكر ، حيث شملت نقاط المسيرة المعتادة كل من متيجة ومليانة<sup>(5)</sup> والونشريس<sup>(6)</sup>، ثم تلمسان ، حيث التقيا في هذه الأخيرة بالفقيه علي ابن صاحب الصلاة وانظم إليهم<sup>(7)</sup> . ولما أصبح ابن تومرت يشكل خطرا على مكانة الفقهاء

(1) حمدي عبد المنعم محمد حسين: المرجع السابق، ص: 92.

(2) تلمسان: وهما مدينتان متجاورتان مسورتان إحداهما قديمة والأخرى حديثة ، والحديثة إختطها المثلثون ملوك المغرب، وإسمها تافرت ، فيها يسكن الجند وأصحاب السلطان . ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج2، ص : 02.

(3) حمدي عبد المنعم محمد حسين: المرجع السابق، ص: 92.

(4) البيدق: أخبار المهدي بن تومرت ، المصدر السابق ، ص: 36.

(5) مليانة: مدينة كبيرة و قديمة ، بناها الرومان وأطلقوا عليها اسم ماكنانة ، لكن العرب حرفوا هذا الإسم ، تقع هذه المدينة في قمة جبل ، على بعد نحو أربعين ميلا عن شرشال . ينظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي: المصدر السابق، ص-ص: 34-35.

(6) الونشريس: جبل عال شديد الإنحدار، سكانه أشداء في الحرب ، وهم على قتال دائم مع ملوك تلمسان، ينظر: مارمول كربخال: إفريقيا ، تر: محمد حجي وآخرون ، الرباط ، دار النشر والمعرفة ، ( د . ط ) ، ج 2 ، 1989م ، ص : 360.

(7) عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، المرجع السابق ، ص: 63.

المرابطين ، فقد وشوا به إلى والي المدينة ، فتم طرده واتجه نحو فاس ، ولما وصل إليها انتصب للتدريس في إحدى مساجدها، وكان يركز في ذلك على تدريس أمور العقيدة على طريقة الأشاعرة ، فتحزب ضده الفقهاء خوفا من أن يفسد عقول العامة ، وأبلغوا أمره إلى الوالي ، فقرر هذا الأخير إجراء مناظرة بين الطرفين فأفحمهم ابن تومرت ، نظرا لعقمهم في ميدان العلوم النظرية ، وهو ما جعل الوالي يقرر طرده من المدينة ، فاتجه ابن تومرت نحو العاصمة مراكش<sup>(1)</sup>، ونزل هناك بجامع علي بن يوسف في منتصف ربيع الأول من عام 515هـ/ 1121م<sup>(2)</sup> .

وهنا نستطيع القول بأن دخول ابن تومرت إلى مراكش عاصمة الدولة المرابطية تمثل مرحلة حاسمة له في سياسته الأمرة بالمعروف والناهية عن المنكر؛ حيث أنه دخل في مواجهة مباشرة مع نظام الحكم المرابطي ، وعلى رأسهم الأمير علي بن يوسف<sup>(3)</sup>، وقد ذكر البيهقي أن ابن تومرت لما دخل إلى الجامع ، و وجد به الأمير أبو الحسن علي رفقة وزرائه وكانوا منقبين ، فطلب أحد الوزراء من ابن تومرت إلقاء السلام على الخليفة . فرد المهدي بقوله : " وأين هو الخليفة ؟ فأنا لا أرى إلا جوارى منقبات ، فكشف الأمير عن وجهه ، وقال : لقد صدق " . ثم ذهب ابن تومرت إلى مسجد عرفة والتقى هناك بجل فقهاء مراكش وناظرهم ، فكانت الغلبة له عليهم<sup>(4)</sup> .

وقد كان ابن تومرت أثناء تواجده بمراكش يقوم بحملة انتقادات واسعة شملت كافة الجوانب السياسية والاقتصادية والأخلاقية التي يمارسها نظام الحكم ، ولما التقى بالأمير علي مرة ثانية في بلاطه ، ظهر وكأنه يتكلم باسم الفئات المهمشة والمحرومة في المغرب والأندلس ، بلهجة قوية أثارت ارتياب رجال السلطة ، حيث فهموا أنه يناور بأوراق مخفية تتجاوز كونها مجموعة من النصائح المتضمنة لأوامر بتحقيق المعروف ونواهي لإستمرار المنكر ، ورأوا أنها تمثل حملة عدائية وتعبوية مضادة ، تهدف إلى تحقيق أهداف سياسية خطيرة تقضى على كيان الدولة ، و قد كان مالك بن وهيب ، وهو أحد ألمع فقهاء

(1) محمد بن عمرو الطمار: تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د.ط)، 1984، ص 58.

(2) عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت ، المرجع السابق ، ص: 64.

(3) ابن الأثير : المصدر السابق، ج10، ص: 57.

(4) البيهقي : أخبار المهدي بن تومرت ، المصدر السابق ، ص: 48.

البلاط المرابطى ، أول من أشار على الأمير بوضع حد لهذا الرجل قبل أن يستفحل أمره وتخرج الأمور عن السيطرة<sup>(1)</sup>. حيث نصحه قائلاً : " أيها الملك ، إن عندي لنصيحة إن قبلتها تجنبت عاقبتها ، وإن تركتها لم تأمن غائلتها، فقال الملك: ما هي؟ قال : إنى خائف عليك من هذا الرجل ، وأرى أنك تعتقله وأصحابه ، وتنفق عليهم كل يوم ديناراً لتكتفي شره ، إن لم تفعل ذلك لتتنفق عليه خزائنك كلها، ثم لا ينفك ذلك " <sup>(2)</sup> ، وفي رواية عند بن خلدون قال له كذلك: " إجعل على رجليه كبلًا لئلا يسمعك طبلًا"<sup>(3)</sup> كما صدر رأي بقتله أو طرده ، إلا أن الأمير استقر قراره على الطرد ، وذلك حفاظاً على سمعة الدولة المرابطية ، حتى لا يقال أنه سجن أو قتل رجلاً عالماً فقيهاً بريئاً دون أن يرتكب جرماً بيناً<sup>(4)</sup>. وبالتالي تم طرده من مراكش .

ولم تكن حادثة الطرد التي تعرض لها ابن تومرت من طرف الأمير علي وحاشيته لتقل من عزمه ، بل دفعته مضياً إلى مواصلة نشاطه ، والجدير بالذكر هو أن ابن تومرت قد استنتج من خلال ما حدث معه في بلاط الأمير ، ضعف سلطة الأمير وانقياده للفقهاء<sup>(5)</sup>، وقام بعدها بنصب خيمة بإحدى مقابر المدينة النائية ، ثم شرع في إلقاء نوع من الدروس رآها تخدم فكرته ونشاطه ، وهي تأخذ في معظمها الطابع الدينى العقدي الممزوج بالبعد السياسى، وقد كان لهذا البعد الجديد لمواعظ ابن تومرت ومحاضراته تأثيراً بالغاً لدى نفوس الطلبة ، وهو ما جعل الأمير المرابطى يشغل جدياً في أمره ، فاستدعاه مرة أخرى وأمره بالخروج من المدينة وضواحيها<sup>(6)</sup>. فرجع ابن تومرت إلى أصحابه وقال لهم: " لا مقام لنا

(1) البيدق: أخبار المهدي بن تومرت ، المصدر السابق ، ص:48

(2) داود عمر سلامة عبيدات : المرجع السابق، ص: 35.

(3) ابن خلكان : المصدر السابق ، ج5 ، ص :50.

(4) عبد الرحمان بن خلدون : كتاب العبر، المصدر السابق ، ج6 ، ص: 304.

(5) البيدق: أخبار المهدي بن تومرت ، المصدر السابق ، ص :48.

(1) عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت ، المرجع السابق ، ص : 101.

لنا بمراكش مع وجود مالك بن وهيب ، وإن لنا بأغمات<sup>(1)</sup> أخوا في الله فنقصده ، فلن نعدم منه رأياً ودعاء<sup>(2)</sup> ، وهو الفقيه عبد الحق بن إبراهيم المصمودي " <sup>(3)</sup> .

وهكذا خرج ابن تومرت وأتباعه إلى مدينة أغمات وريكة ، حيث نزلوا بجامع وطاس ، الذي يعتبر كتابا يدرس فيه معلم البلدة عبد الحق بن إبراهيم المصمودي ، هذا الأخير الذي لم يرحب بابن تومرت ولم يستقبله ، ويرجع ذلك حسب اعتقادنا إلى خوف الفقيه الأغماتي على مكانته من طرف الفقيه السوسي ، وهو ما يعني أن العلاقة قد اتخذت صبغة عدائية وتنافرية بين الفقيهين . وقد تم إجراء مناظرات بينهما في الأمور العقدية ، وانقسمت القبيلة بعد ذلك إلى طائفتين تكفر كل واحدة منها الأخرى ، وبعدها قرر ابن تومرت أن يخرج من هذه الدوامة بتحوله عن القبيلة .

فرحل عنها بعد أن ترك بها عصابة موالية له يرأسها إسماعيل بن أيجيج<sup>(4)</sup> ، وأثناء سيره نحو منطقة تينملل<sup>(5)</sup> ، وصله في الطريق نبأ عن طلب الأمير علي بالقبض عليه ، وهو ما جعله يجري اتصالا مع إسماعيل ، ويطلب منه إعداد 200 رجلا مسلحا من بني عمه ، وكان ابن تومرت في المقابل يعقد الأحلاف مع القبائل البربرية على طول الطريق إلى تينملل<sup>(6)</sup> ، وقبل أن يصل ابن تومرت إلى تينملل عرج على منطقة إيجليز ، وهي قرية تقع حيث تتواجد قبيلته هرغة ، فأقام هناك رابطة للعبادة كتلك التي أقامها عبد الله بن ياسين ، وكان ذلك سنة 514 هـ / 1120م ، فتجمع فيها الكثير من الطلبة وأعيان القبائل . <sup>(7)</sup>

(2) أغمات: وهي مدينتان إحداهما سميت أغمات إيلان، والأخرى أغمات وريكة ، وبها مسكن رئيسهم، وبها ينزل التجار الغرباء ، وبينهما ثمانية أميال، ولها نهر لطيف جريته من القبلة إلى الجوف ، يقال له تاقيروت، وحولها بساتين ونخل كثير. ينظر : العباس بن إبراهيم الشمالي : الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام ، مر: عبد الوهاب بن منصور ، الرباط ، المطبعة الملكية، ج 1، 1993، ص: 100.

(3) السبكي: المصدر السابق، ص: 72.

(4) عبد الحق بن إبراهيم المصمودي : هو أحد الفقهاء الذين كانوا يدرسون بجامع وطاس في أغمات ، وقد جرت له مناظرة مع ابن تومرت ، فأفحمه هذا الأخير . ينظر: البيدق : أخبار المهدي بن تومرت ، المصدر السابق ، ص: 30.

(4) إسماعيل بن أيجيج : هو أحد تلاميذ المهدي بن تومرت بأغمات وريكة ، و قد أصبح فيما بعد من أهل الجماعة العشرة العشرة . تولى القضاء وقيادة الجيوش الموحدية في بعض المعارك ضد المرابطين . ينظر: البيدق : كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب ، المصدر السابق ، ص: 31.

(5) تينملل: جبال بالمغرب بها قرى ومزارع ، يسكنها البربر ، بين أولها ومراكش ملك بني عبد المؤمن على نحو ثلاث فراسخ . ينظر: الحموي :المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 69.

(6) سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ص- ص : 185-186.

(7) محمد بن عمرو الطمار : المرجع السابق، ص- ص : 53-54.

## 2- مرحلة البيعة :

وأما فصول البيعة التي كانت لابن تومرت وما لحقها من ترتيبات وتنظيمات، فقد تمت منذ وصوله إلى تينملل ، والجدير بالذكر هو أن هذا الأخير قد بدأ خطابه يتغير تجاه نظام الحكم المرابطي منذ أن حل بأغامت وريكة ، حيث أعلن هناك خلع مبايعته لعلي بن يوسف ، وأمر أتباعه بتنفيذ نفس الأمر ، فأعلن الجميع خلعه ، وهو ما يعني أنه حدث تقدم نوعي رسمي في صراع ابن تومرت مع الدولة المرابطية ، حيث أن مشروعه التغييرى بدأ يشهد مراسيم التنفيذ ، وكانت هذه المرحلة هي الخطوة التمهيدية لإعلان مهاديته<sup>(1)</sup> ، وبعد وصول ابن تومرت إلى تينملل ، تذكر كتاب الجفر الذي طالعه من قبل ، وهو يتعلق بعلم أهل البيت ، حيث قرأ فيه صفة الرجل الذي يظهر بمنطقة السوس في المغرب الأقصى ، ويكون من ذرية الرسول (ص) ، ويكون مقامه ومدفنه بموضع اسم هجاء حروفه(ت ي ن م ل )<sup>(2)</sup>، فشرع في بناء حصن في قمة الجبل ، وبنى كذلك دارا ومسجدا ، وأدار حولهما سورا.

وهكذا إستقر في هذه المنطقة وجعلها مقره السياسى والعسكرى<sup>(3)</sup>، واعتبرها دار هجرته، وفي ذات الوقت قام بتقسيم أتباعه إلى طائفتين، فاعتبر أتباعه من أهل تينملل هم الأنصار، وغيرهم من الأتباع هم المهاجرين<sup>(4)</sup>، كما لمح ابن تومرت غارا بجبل إيجليز فدخله تشبها بدخول النبي (ص) إلى غار حراء ، فتسابق بعض أصحابه إليه لتكريمه وتمجيده<sup>(5)</sup>، وقد اتخذ ابن تومرت مدينة تينملل مركزا له، (ينظر إلى الملحق رقم04)

بحكم حصانة موقعها وفي شهر رمضان من عام 15 هـ الموافق لشهر ديسمبر من عام 1121م<sup>(6)</sup>، قام ابن تومرت خطيبا في أتباعه، وقال: " الحمد لله الفعال لما يريد، القاضي بما يشاؤه، لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه ، وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله ، المبشر بالإمام المهدي ، الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما، يبيعه

(1) ابن القطان : المصدر السابق، ص : 29.

(2) حمدي عبد المنعم محمد حسين : المرجع السابق، ص- ص: 98-99.

(3) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ج4، ص: 182.

(4) حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، (د . م) ، مكتبة الأسرة ، (د . ط) ، 2004م ، ص : 204.

(5) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ج5 ، ص: 195.

(6) نجيب زينب : المرجع السابق، ج2، ص: 232.

الله لنسخ الباطل بالحق وإزالة الجور بالعدل ، مكانه بالمغرب الأقصى ، وزمانه آخر الزمان ، والاسم الاسم ، والنسب النسب ، والفعل الفعل " ، ويقول عبد المؤمن بن علي: " لما فرغ الإمام المهدي من كلامه هذا ، بادر إليه عشر رجال من أتباعه والملازمين له ، وكنت أنا واحدا منهم وقلنا له : يا سيدي هذه الصفة لا توجد إلا فيك ، فأنت هو المهدي ، فبايعناه في أثناء ذلك على ما بايع به الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن نكن يدا واحدة على القتال والدفاع " .

وقد تمت هذه البيعة تحت شجرة الخروب اقتداءا ببيعة النبي (ص) تحت الشجرة<sup>(1)</sup>، وترتبط هذه البيعة بقيام أولى المجالس التأسيسية " آيت عشرة " أو " جماعة العشرة " المكون من صحابة ابن تومرت الأولين السابقين في التوحيد . وكانت البيعة ببسط اليد ، وقول الصحابي : " أبايعكم على ما بايع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم " ، وهم يقومون مقام العشرة المبشرين بالجنة<sup>(2)</sup> .

هذا وقد قسم ابن تومرت أتباعه إلى طبقات ، وكل طبقة لها خصوصيتها وتصنيفها، يأتي حسب مقدار ومستوى الولاء الذي تقدمه كل طائفة ، حيث كان من هذه الطبقات طبقة العشرة الذين سلف ذكرهم ، ثم تأتي بعدها طبقة الخمسين ، ويمثلها ستة قبائل مصمودية وهي:

- قبيلة هرغة وينوبها 06 رجال / - مدينة تينمل ويمثلها 14 رجلا .
- قبيلة هنتاتة<sup>(3)</sup> ويمثلها 05 رجال / - قبيلة جدميوه<sup>(4)</sup> وينوبها رجلين .
- قبيلة جنفيسة<sup>(5)</sup> وينوبها 04 رجال / - قبيلة هسكورة<sup>(1)</sup> وينوبها 03 رجال .

(1) مؤلف مجهول: الحل لموشية، ص- ص: 107-108.

(2) أصحاب المهدي العشرة هم: (عبد المؤمن بن علي الكومي، أبو إبراهيم إسماعيل بن أيجيج، عبد الواحد الشرقي، أبو حفص عمر بن علي أصناج، عبد الله بن محسن الوتشريسي، أبو موسى الصودي، أبو محمد وستار، أبو بكر بن الصنهاجي، عبد الله أهلان، أغوال) . ينظر: البيدق: أخبار المهدي بن تومرت، المصدر السابق، ص: 33.

(3) هنتاتة: وهي قبيلة ضخمة، وتعتبر من أهم قبائل المصامدة وأكثرها جمعا وأشدّها قوة . ينظر: عبد الرحمان بن خلدون: كتاب العبر، المصدر السابق، ج6، ص - ص: 266-267.

(4) جدميوه: وتسمى كذلك كدميوه، وقد كانت تابعة لقبيلة هنتاتة، إذ أن مواطنهم كانت قريبة من مواطن هنتاتة . ينظر: عبد الرحمان بن خلدون: كتاب العبر، ج 6، المصدر السابق، ص: 270.

(5) جنفيسة: وهي قبيلة عزيزة منيعة، وقد اشترك بعض أهلها في مجلس الخمسين، ومنهم أبو إسماعيل وأبو زيد عبد الرحمان بن رجو وعبد الله بن الحاج . ينظر: ابن القطان: المصدر السابق، ص: 31.

- قبيلة صنهاجة وبنوبها 03 رجال / - من الغرباء 05 رجال. (2)

كما أضاف ابن تومرت طبقات أخرى مثل: طبقة السبعين التي تلي طبقة الخمسين، وكذا صنف الطلبة، وطبقة الحفاظ (صغار الطلبة)، بالإضافة إلى طبقة أهل الدار، وهم أقارب المهدي وعشيرته. وقد كان لكل صف من الأصناف مكانة معلومة ومهمة محددة لا تتعدها إلى غيرها<sup>(3)</sup>. والجدير بالذكر هو أن الطبقات الثلاث الأولى كانت تمثل النواة الأساسية لنظام الحكم والإدارة الخاصة بدولة الموحدين المرتقبة، حيث كان مجلس العشرة يختص بدراسة ومناقشة القضايا الكبرى المتعلقة بالحركة الموحدية، وأما مجلس الخمسين، فهو يختص بدراسة المسائل الأقل أهمية، ثم يأتي بعد ذلك مجلس السبعين الذي يعتبر دوره استشارياً، وكذا العمل على تقديم المعلومات وإسداء النصائح<sup>(4)</sup>.

والمهم أن ابن تومرت قد نجح إلى حد بعيد في إنجاز عملية الشحن المعنوي للأتباع بالربط بين تلك الطبقات، التي تمثل مختلف القبائل، واستطاع أن يسيطر على أفكارهم وتوجهاتهم، فقد كان يقول فيهم: " ما على وجه الأرض من يؤمن إيمانكم وأنتم العصابة التي قصدها الرسول (ص) بقوله: " لا تزال طائفة من أمتي بالمغرب ظاهرين على الحق، حتى يأتي أمر الله "، و أنتم الذين يفتح الله بكم فارس والروم ويقتل المسيح الدجال، ومنكم الأمير الذي يصلي بعيسى بن مريم، ولا يزال الأمر فيكم إلى يوم القيامة<sup>(5)</sup> (ينظر الملحق رقم 05).

فمن هذه المنطلقات وغيرها استطاع ابن تومرت أن يضع حجر الأساس لدولته، على اعتبار الإزدواجية الدينية والسياسية، التي جعلت من ابن تومرت شخصية فريدة، لها القدرة على الاستقطاب والإقناع والتنظيم بحنكة وسلاسة فائقة<sup>(6)</sup>. ولضمان تحقق الولاء

(1) هكسورة: تنسب إلى قبائل المصامدة، وهي كثيرة الأفراد و واسعة الرقعة، تتصل من جبال درن إلى تادلا من جهة الشرق، وإلى درعة من جهة القبلة. ينظر: عبد الرحمان بن خلدون: كتاب العبر، ج 6، المصدر السابق، ص: 271.

(2) ابن القطان: المصدر السابق، ص: 31.

(3) عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني، بيروت، دار

الغرب الإسلامي، ط1، 1988م، ص: 138.

(4) جورج مارسية: بلاد المغرب و علاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد هيكل، مر: مصطفى أبو ضيف أحمد، الإسكندرية، (د.د.)، (د.ط.)، 1999م، ص: 297.

(5) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص: 255.

(6) إبراهيم حركات: المغرب العربي عبر التاريخ، الدار البيضاء، دار الرشد الحديث، (د.ط.)، ج1، (د.ت.)، ص: 242.

واستقراره ، اهتدى ابن تومرت إلى فكرة القيام بعملية تصفية جسدية ، تقضي على كل من يشك في عدم ولاءه أو يشك في مهاديته ، فأمر ابن تومرت صاحبه البشير الونشريسي بتنفيذ هذه العملية ، وطلب منه أن يقوم له بكتابة الأسماء المشكوك في عدم إخلاصها، ثم أمر بعرض كافة القبائل وبعدها قام بفصل الأشخاص المعنيين بتصفيتهم عن جمع القبيلة ، ثم طلب من كل قبيلة بقتل المعارضين فيها ، فحصل ذلك و تم قتل المئات من جموع القبائل<sup>(1)</sup> .

(1) ابن الأثير : المصدر السابق، ج 9 ، ص: 199.

## المبحث الثاني: مرحلة الصراع العسكري

### المطلب الأول: الصراع على عهد محمد بن تومرت

لقد سبقت الإشارة إلى أن إعلان الحرب من طرف الموحيين على المرابطين قد تم منذ إعلان خلع البيعة والطاعة للأمير المرابطي علي بن يوسف ، ومنحها لابن تومرت ، حيث تلت هذه الإجراءات فيما بعد ترتيبات أخرى تهدف كلها إلى تنظيم نشاط الحركة الموحدية<sup>(1)</sup>، بيد أن البداية الفعلية للتحرك الموحي المسلح كان في شعبان 516هـ /أوت 1123م<sup>(2)</sup>، حيث افتتح ابن تومرت هذه المرحلة بكتابة رسالة بعث بها إلى الأمير علي جاء في مضمونها بعد البسمة والصلاة على النبي (ص) : " من القائم بأمر الله والعامل بسنة رسول الله محمد بن عبد الله وفقه الله ، إلى المغرور بدنياه علي بن يوسف أما بعد : فإن ما وجدنا لأكثركم من عهد ، وإن وجدنا أكثركم لفاسقين ، لم تخشوا عقوبة رب العالمين ، ولم تتفكروا فيمن حولكم من الظالمين الذين غووا فأصبحوا نادمين ، فتبعهم الناس أجمعين فإذا هم أخسر الخاسرين ، وقد أمرني الله بإدحاض حجة الظالمين ودعاء الناس إلى اليقين ، ونسأل من الله أمير المحسنين ، لا تغتروا فإن المسلمين إليكم .....، ونعوز لقتال من جنف وزاغ وكفر بنعمة الله ، وقد جاء في التنزيل أنكم لستم بمؤمنين ولا تؤمنون بلا إله إلا الله وإنها كلمة تقولونها عند الخوف والتعجب ، وتارك واحدة من السنة كتاركها كلها ، ومن أجل ذلك فإن دمائكم حلال ومالكم فيء ، وقد بينا لكم وأوضحنا السبيل ، وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، والسلام على من إتبع الهدى وخشي الرحمن ..... " <sup>(3)</sup> .

ولعل المتأمل في مضمون هذه الرسالة يكتشف أنها عبارة عن تبريرات تومرتية لإعلان الحرب على المرابطين، وبالتالي فقد كانت هذه الرسالة هي نقطة انطلاق لإشعار المرابطين بالإفتتاح الرسمي للصراع . والجدير بالذكر أن إعلانه للحرب المسلحة على المرابطين في مستهل عام 516هـ/1123م قد جاء في ظرف جد مناسب ، وذلك باعتبار اجتياز الأمير علي للأندلس على إثر سماعه نبأ حدوث فتنة قرطبة في 515هـ/1121م

(1) عبد الكريم غلاب: المرجع السابق، ج 2، ص : 180.

(2) يحيى بوعزيز : المرجع السابق، ص : 190.

(3) ماهر حمادة: المرجع السابق، ص : 330.

(1) ولما سمع الأمير علي بخبر عزم ابن تومرت على قتال المرابطين ، أدرك حجم الخطأ الذي ارتكبه مع ابن تومرت لما تركه حرا طليقا ينشر دعوته ويثير أهل المغرب الأقصى بأطروحاته و أفكاره ، فعاد على عجل على أمل أن يتم إجهاض هذه الحركة قبل أن يستفحل أمرها، إلا أن الطريقة التي كان يفكر بها الأمير علي لكبت هذه الحركة لم تكن لترقى إلى تحقيق هدفه في ذلك وهو ما سيتم توضيحه فيما بعد(2).

وما إن وصل الأمير علي إلى مراكش ، حتى أعطى الأمر بتجهيز جيش لإطفاء شعلة الموحدين في عقر دارهم ، فسار هذا الجيش تحت إمرة والي السوس الأقصى ، ونزل عند جبل إيجليز ، حيث كان يتحصن ابن تومرت هناك مع أتباعه ، ولما لمحهم ابن تومرت من فوق الجبل صاح في أنصاره قائلا لهم : " أنظرو إلى أعدائكم واعلموا أن كل ما جاؤوا به من خيل وعدة ، إنما هو هدية لكم من الله تعالى على غربتكم وفقركم فأعطاكم وأغناكم ".(3) وكان ابن تومرت هنا قد حسم نتيجة المعركة قبل أن تحدثم ، وهو خطاب استعمله ابن تومرت على سبيل رفع المعنويات عند أتباعه ، لكي يقاتلوا بكل شجاعة و جرأة ، وبعدها نزل الجيش الموحي من الجبل ، واشتبك الطرفان وتصارعا طويلا بشرقي الجبل ، فانتهت المعركة بهزيمة المرابطين واستيلاء الموحدين على خيولهم وأسلحتهم وأموالهم.(4) وقد وضع ابن تومرت خلال هذه المرحلة مخططا يتعلق بإلزام القبائل التي تخلفت عن مناصرته بتقديم البيعة والدخول تحت عباءة الموحدين ، حيث بدأ بغزو قبيلة هزرجة(5) ثم هسكورة ، ثم سار إلى بني واسكيت(6) . وقد تمكن من إلزامهم بتقديم الطاعة والولاء وبعدها غزا بلد غجرامة(7) ، حيث ولى عليها أحد أتباعه المقربين وهو أبو محمد عطية ، إلا أن أهل غجرامة غدروا به وقتلوه ، فرجع إليهم ابن تومرت مرة أخرى و أحكم

(1) محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ج4، ص : 178.

(2) حمدي عبد المنعم محمد حسين : المرجع السابق، ص : 101.

(3) ابن القطان: المصدر السابق، ص : 83.

(4) حمدي عبد المنعم محمد حسين : المرجع السابق، ص : 101.

(5) هزرجة: وهي أحد أكبر القبائل المصامدة التي بايعت المهدي بن تومرت في بداية دعوته. ينظر: عبد الرحمان ابن

خلدون: كتاب العبر، المصدر السابق ، ج6 ، ص : 267.

(6) بني واسكيت: من قبيلة وزكية وهي قبيلة كبيرة من جذم مصمودة من البربر البرانس ، تسكن جبال الأطلس الكبير جنوبي مراكش. ينظر: البيدق: كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب ، تح : عبد الوهاب بن منصور، الرباط ، دار منصور للطباعة، ( د . ط )، 1971م ، ص : 43.

(7) غجرامة: قبيلة شهيرة تقع شرقي مراكش ، بين دمنات و تلويت ، بطونها بني حكيم وبني يزيد . ينظر: البيدق: كتاب

الأنساب في معرفة الأصحاب، المصدر السابق ، ص : 53.

قبضته عليهم<sup>(1)</sup> وقد بلغ تعداد أنصار ابن تومرت في هذه الفترة حوالي 20 ألف رجل ، إنتخب منهم 10 آلاف معظمهم من هرغة و هنتاتة و تينمل ، و تم تدريبهم على حمل السلاح وتعلم بعض الفنون الحربية . وفي شعبان 516هـ / أكتوبر 1123م جهز بهم جيشا ، وأمر عليه صاحبه البشير ، كما عمل على تزويده براية بيضاء تخالف راية المرابطين السوداء ، وبعدها وجه الجيش صوب مدينة أغمات .

ولما سمع الأمير علي بخبر تحركهم من جديد ، وجه إليهم سرية عسكرية من الحشم والجنود يقودها الأحول كلثوم،<sup>(2)</sup> حيث اشتبك الجيشان هناك ، فمني جيش المرابطين بهزيمة قاسية قتل خلالها الكثير، ثم لاحق الموحدون من فر من اللمتونيين وطاردهم ، إلى أن أرغمهم البشير على دخول أسوار مراكش والتحصن بداخلها ، وقد ضرب الجيش الموحي حصارا على المدينة لبضعة أيام ، ثم تولى إلى تينمل بعد ذلك.<sup>(3)</sup> ولما وصل البشير إلى تينمل قام ابن تومرت بتقسيم الغنائم على أتباعه.<sup>(4)</sup> ثم تلا قوله تعالى : " وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فجعل لكم هذه " <sup>(5)</sup>.

وفي سنة 517هـ / 1123م عزم الأمير علي على الرد ، فجهز جيشا عرمرما سيره تحت إمرة أبو إسحاق إبراهيم،<sup>(6)</sup> و إتجه نحو معقل الموحيين<sup>(7)</sup> وفي المقابل أعد ابن تومرت كافة الحسابات لذلك ، فقام بتجهيز جيش معظم المقاتلين فيه من أهل تينمل والسوس الأقصى ، و أمر عليه عبد المؤمن بن علي . و قال لجنوده : " أنتم المؤمنون وهذا أميركم"<sup>(8)</sup>، ولما التقى الجيشان عند جبل إيجليز حدث ما لم يكن في حساب الأمير علي ، حيث أن المرابطين إنهمزوا مرة أخرى دون حصول أي قتال . ويمكننا تفسير ذلك بسياسة الحرب النفسية التي استعملها ابن تومرت خلال هذه المعركة ، على الرغم من أن المرابطين كانوا أكثر عددا وعدة و أحكم تنظيما ، حيث أن الموحدون قاوموا الزحف

(1) عبد الرحمان بن خلدون: كتاب العبر، المصدر السابق، ج6 ، ص : 306.

(2) ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص : 177.

(3) حمدي عبد المنعم محمد حسين : المرجع السابق، ص : 101.

(4) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص : 178.

(5) سورة الفتح : الآية 20.

(6) أبو إسحاق إبراهيم بن تاشفين علي اللمتوني: هو آخر أمراء دولة المرابطين ، تولى الحكم في عام 539 هـ / 1144م ،

، وتوفي عام 541 هـ / 1147م . ينظر: خير الدين الزركلي : المرجع السابق ، ج1، ص : 34.

(7) حمدي عبد المنعم محمد حسين : المرجع السابق، ص : 102.

(8) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص : 260.

المرابطى بثقة كبيرة ومعنويات مرتفعة ، وكذا إلتزامهم بتعليمات ابن تومرت إلتزاماً حرفياً<sup>(1)</sup>، وهو ما أقره ابن تومرت فى نفوس أتباعه قبل إلتقاء الجيشين بقوله : " لا تقزعوا فإنهم هاربون دون قتال " ، وهو ما يعنى إنتصار مبدأ الفكرة و العقيدة على مبدأ القوة فى هذه المعركة<sup>(2)</sup> .

وقد كان لهذه الهزيمة وقع شديد على معنويات الأمير على ، حيث أدرك منذ ذلك الحين عمق ما يصبو إليه ابن تومرت ، إذ أصبح هذا الأخير يمثل مسألة حياة أو موت للدولة المرابطية ، وهو ما يحتم على الأمير المرابطى تسخير كافة الإمكانيات والموارد البشرية والمادية قصد شل هذه الثورة<sup>(3)</sup> . فعزم على تجهيز جيش آخر، إلا أنه لم يحقق نتائج مرضية فى ذلك ، حيث منى بهزيمة قاسية كان لها الأثر الإيجابى على ذبوع صيت ابن تومرت وإزدياد الموالين له ، على اعتبار أن هذه الانتصارات المتوالية للموحدين على المرابطيين توحى بأحقيتهم فيما يسعون إلى تحقيقه ، وهنا أدرك الأمير على الذكاء الحربى الذى يتمتع به ابن تومرت<sup>(4)</sup>، فهذا الأخير تجنب قتال المرابطيين عند السهول والأراضى المنبسطة ، و فضل قتالهم فى المرتفعات الجبلية ، وخصوصاً عند جبل إيجليز ، حيث إستخدم ابن تومرت هذه الخطة كإستراتيجية حربية بحكم الحصانة التى يتميز بها جبل إيجليز<sup>(5)</sup>، فلهذا الجبل طريق واحد وضيق ، لا يستطيع أن يسلكه إلا فارس بعد فارس<sup>(6)</sup>، فارس<sup>(6)</sup>، و هو ما يعنى أن الموحدى لم يكونوا مبادرين فى هذه الفترة بتنفيذ الهجمات ضد المرابطيين فى معقلهم ، بقدر ما كانوا فى وضعية دفاعية . وهذا طبيعى إذا استثنينا الغارات التى قام بها ابن تومرت على بعض القبائل ، والتى كان غرضه فيها هو كسب المزيد من الأنصار والعتاد<sup>(7)</sup> . وفى سنة 519هـ/1125م قام ابن تومرت بتجهيز كتبية عسكرية ، وسار بها نحو وادى نفيس ، حيث إتبع بقواته مجرى الوادى ، وذلك بغرض إخضاع قبائل تلك الناحية و إلتزامها بتقديم البيعة ، فبعد أن عنفهم دانت له قبائل كدميوه

(1) محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ج 1 ، ص : 179.

(2) البيدق: أخبار المهدي بن تومرت، المصدر السابق ، ص : 53 .

(3) يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص 191.

(4) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ج 1 ، ص : 180

(5) حمدي عبد المنعم محمد حسين : المرجع السابق، ص- ص : 102-103.

(6) البيدق: أخبار المهدي بن تومرت ، المصدر السابق ، ص : 55.

(7) محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ج 1، ص : 178.

وهزرجة وأجمات<sup>(1)</sup> ورجراجة<sup>(2)</sup>، كما تمكن من فرض سيطرته على بلدة تامبوت<sup>(3)</sup> وماغوصة<sup>(4)</sup>.

ويمكن القول بأنه منذ عام 520هـ/1126م ، غير الموحدون نهجهم الحربى وانتقلوا من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم كأحسن وسيلة للدفاع ، حيث أعد ابن تومرت جيشاً أسند قيادته إلى ساعده الأيمن البشير الونشريسي<sup>(5)</sup> ، ثم خطب أتباعه بقوله : " أقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين ، الذين تسموا بالمرابطين فادعوهم إلى إماتة المنكر وإحياء المعروف وإزالة البدع ، والإقرار بالإمام المهدي المعصوم ، فإن أجابوكم فهم إخوانكم ، لكم ما لهم وعليهم ما عليكم، وإن لم يفعلوا ، فقاتلوهم ، فقد أباحت لكم السنة قتلهم " <sup>(6)</sup>. ثم توجه جيش الموحدين نحو منطقة كيك (أي الهضبة) ، و تم غزوها فانهزمت هنالك القوات المرابطية<sup>(7)</sup> ، وقتل أبي الطاهر تميم أخ الأمير علي<sup>(8)</sup> . وهي الغزوة التي قال عنها ابن تومرت : " لو كان كيك على كيك ، حتى يبلغ سبعة أكياك ، لا بد من يوم الخميس " ، أي لو كان هضبة على هضبة حتى تبلغ سبعة هضاب لا بد من يوم النصر<sup>(9)</sup>، ثم حدث اشتباك آخر بين المرابطين والموحدين في منطبة بالجروبة (أي جبل وريكة)، وكان على قيادة المرابطين أثناءه أبو بكر بن علي بن يوسف، وكان نتيجة هذا الإشتباك أن انهزم المرابطون، وتم الاستيلاء على أمتعتهم ودوابهم، وبعدها طارد جنود القائد البشير فلول الفارين من عسكر المرابطين إلى غاية منطقة يامجدار، حيث إصطدموا هناك بفيلق عسكري مرابطي آخر يقوده يطى بن إسماعيل ، هذا الأخير الذي منى بفشل ذريع في صد

(1) يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص : 191.

(2) رجراجة: وهي ركراكة أشرف قبائل مصمودة ، لسبقها إلى الإسلام وجهادها في سبيل نشره بين البربر. ينظر: البيدق: كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب ، المصدر السابق ، ص : 50.

(3) تامبوت : وهي قبيلة من قبائل وكيته بقيادة تاليوين(ورزارات) ، تشتمل على البطون التالية منها : بنو عبيد وزكراوزة . ينظر: البيدق: نفس المصدر، ص: 44.

(4) ماغوصة: إسم بطن من قبيلة كدميوة بقيادة أمزير(اقليم مراكش). ينظر: البيدق: نفس المصدر، ص 44.

(5) ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق، ج4، ص : 76.

(6) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص: 260.

(7) ابن القطان : المصدر السابق، ص : 114.

(8) عبد الرحمان بن خلدون: كتاب العبر، ج6، المصدر السابق ، ص : 228.

(9) البيدق: أخبار المهدي بن تومرت ، المصدر السابق ، ص : 58.

الزحف الموحي صوب العاصمة مراکش ، وتم قتله على يد البشير<sup>(1)</sup>، وبعدها واصل الموحدون زحفهم باتجاه أغمات .

ولما بلغ الأمير علي خبر إنهزام القوات المرابطية بكيك ، ثم في بالجروبة ويامجدار، أسرع إلى بناء المراصد بالقرب من سور مراکش ، لعرقلة تقدمهم صوب العاصمة ، كما أمر بسد كافة السبل الجبلية التي يتوغل منها أتباع ابن تومرت إلى الأوطية (أي السهول) ، وذلك لتجنب حرب الفجاءة التي دأب عليها الموحدون<sup>(2)</sup> . ولما كانت سنة 521 هـ/1127م ، وصل الجيش الموحي إلى باب أغمات ، حيث تناوب على قيادة الجيش عبد المؤمن بن علي وأبو حفص عمر بن علي أصناج و أبو عمران موسى بن تمار الجدميوي<sup>(3)</sup> ، ودارت هناك معركة طاحنة بينهم وبين غرماهم المرابطين ، قتل على إثرها معظم عسكر الأمير علي<sup>(4)</sup> .

وبعدها عاد الجيش الموحي إلى تينملل لإسترجاع الأنفاس تحضيراً لمرحلة الحسم، حيث قام ابن تومرت بتجنيد حوالي 40 ألف مقاتل من مشاة وفرسان ، وأمر عليهم البشير . وقد استعد الأمير المرابطي في المقابل لمثل هذا الموقف ، فعمل على تجهيز جيش قوامه 100 ألف رجل مسلح بين فرسان ورجالة ، ولما التقى الجمعان بناحية أغمات ، نطق عبد المؤمن باسم الجيش الموحي ، وطلب منهم تنفيذ تعليمات زعيمهم الروحي من إماتة البدع وإحياء الواجبات والسنن ، وبيعة محمد بن تومرت كإمام معصوم ومهدي منتظر، إلا أن الأمير علي رد عليه يحذره من عاقبة إثارة القلاقل والفتن وسفك الدماء ومفارقة الجماعة التي يقودها حاكم مسلم<sup>(5)</sup>، ثم نشبت بين الطرفين حرب ضارية تفوقت فيها القوات الموحدية ، على الرغم من تفوق المرابطين عدداً وعدة ، بحيث تم قتل الكثير منهم ، وهرع الباقون إلى داخل سور مراکش وأقفلوا كافة المنافذ . وقد تم محاصرتهم هناك لمدة 40 يوم<sup>(6)</sup> ، وقيل أنهم حوصروا لمدة 20 يوماً حسب رواية ابن الأثير<sup>(7)</sup>، فاهتدى

(1) ابن القطان : المصدر السابق، ص : 116.

(2) ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق، ج4، ص : 75.

(3) حمدي عبد المنعم محمد حسين : المرجع السابق، ص : 105.

(4) ابن الأثير : المصدر السابق، ج6، ص : 200.

(5) عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص : 694.

(6) ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق ، ج4، ص : 75.

(7) ابن الأثير : المصدر السابق، ج9، ص : 200.

الأمير علي بعدها إلى الإستنجاد بابن همشك<sup>(1)</sup> ، الأخير الذي كان قائدا على إحدى الثغور الأندلسية في الشمال ، فلبى الدعوة وقدم على رأس كتيبة عسكرية إلى مراكش ، وقد لاحظ ابن همشك لحظة وصوله أن المرابطين لهم رماح طويلة ، فأشار على جنوده بتقصير رماحهم ، وأن يردوها من ستة أذرع .

ثم برز إليهم بعسكره في أول النهار ، وقتل منهم حوالي 300 محارب في مناوشة محدودة النطاق ، واستطاع بذلك أن يخفف من وطأة الحصار الخانق ، ثم دخل ابن همشك إلى السور ، وهو يحمل تلك الرؤوس ، فانشرح صدر الأمير علي ، ثم أمر بتجهيز عسكره لتنفيذ المعركة الفاصلة مع الموحيين<sup>(2)</sup> ، وقد عمل على تدعيم جيشه بالمزيد من القوات ، فقام بمراسلة أمراء لمتونة ، كي يمولوه بالرجال والسلاح ، فقدمت له جموع غفيرة من مختلف الجهات وخصوصا من سجلماسة ، ثم أمر على الجيش أبو محمد وانودين بن سير<sup>(3)</sup> ، وخرج هذا الأخير بالجند نحو جند الموحيين الذين كانوا مستقرين بمنطقة البحيرة (أي البستان) ، فإحتدم القتال ودارت معارك ضارية بدا فيها التفوق المرابطي واضحا منذ نشوب الحرب ، فانهزم الجيش الموحي في نهاية المطاف . وتم قتل خمسة من أصحاب المهدي العشرة ، بمن فيهم القائد البشير<sup>(4)</sup> ، وجرح عبد المؤمن في رجله اليمنى ، ولم ينجو منهم سوى 400 فارس، فروا مع عبد المؤمن نحو جهة أغمات، وطاردهم المرابطون إلى غاية هيلانة<sup>(5)</sup> ، حيث جرت هنالك معركة أخرى إنهزم فيها الموحدون مرة أخرى بقيادة عبد المؤمن ، ثم تولى هذا الأخير مع من بقي من الجنود إلى تينملل<sup>(6)</sup> .

ولما بلغ ابن تومرت أمر هذه الهزيمة الساحقة لأتباعه تضععت معنوياته ، ولكنه عمل على تهوين المصيبة بقوله أن قتلى الموحيين هم شهداء ومصيرهم الجنة ، وأما

(1) ابن همشك: هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد ، كان واليا على جيان بالأندلس على عهد المرابطين ، وأقام إتصالات مع ابن مردنيش ، ثم ثار ضد الموحيين ، لكنه بايعهم فيما بعد . توفي عام 572هـ/1176م . ينظر : خير الدين الزركلي :

المرجع السابق ، ج1 ، ص : 29 .

(2) مؤلف مجهول: الحل لموشية ، ص- ص : 115-116 .

(3) حمدي عبد المنعم محمد حسين : المرجع السابق ، ص:106 .

(4) أنور محمود الزناتي: موسوعة تاريخ العرب والمسلمين منذ ظهور الإسلام وحتى العصر المعاصر ، ج2 ، ص : 464 .

(5) هيلانة: هي بطن من بطون المصامدة من سكان جبال درن . ينظر: عبد الرحمان بن خلدون: كتاب العبر ، ج6 ،

المصدر السابق ، ص : 299 .

(6) حمدي عبد المنعم محمد حسين : المرجع السابق ، ص : 108 .

قتلى المرابطين فإن مصيرهم إلى السعير<sup>(1)</sup>، كما أقدم في سبيل رفع معنويات أتباعه بعد هزيمة البحيرة على دفن بعض أصحابه وهم أحياء ، وترك رؤوسهم غير مدفونة ، وقال لهم : " إذا سنلتم عن حالكم فقولوا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، وأن ما دعا إليه الإمام المهدي هو الحق " ، وبعد ذلك جمع أنصاره عند السحر ، وقال لهم : " أنتم يا معشر الموحدين حزب الله وأنصار دينه وأعوان الحق ، فجدوا في قتال عدوكم ، فإنكم على بصيرة من أمركم ... وسلوا من استشهد اليوم من إخوانكم يخبروكم بما لقوا من الثواب عند الله " . ثم ذهب معهم ابن تومرت إلى موضع المعركة ونادى : " يا معشر الشهداء ماذا لقيتم من الله عز وجل ؟ " . فقالوا : " قد أعطانا من الثواب ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر"<sup>(2)</sup> .

وبعد 04 أشهر من معركة البحيرة<sup>(3)</sup> ، مرض ابن تومرت ، فلزم مسكنه بتينملل إلى أن توفي يوم الإثنين 29 رمضان 524 هـ / 1130 م ، وتم دفنه هناك<sup>(4)</sup>، عن عمر يناهز 51 سنة<sup>(5)</sup> . والجدير بالذكر هو أن إنتصار المرابطين في موقعة البحيرة ، كان له أثرا أثرا إيجابيا عليهم من ناحيتين ، فمن ناحية ارتفعت معنوياتهم واستعادوا ثقتهم ، ومن ناحية أخرى ، فقد رجعت العديد من القبائل التي خرجت عن طاعة المرابطين تجدد البيعة ، على

(1) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ص : 206 .

(2) السلاوي : المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 87 .

(3) البحيرة: وتسمى أيضا الرقائق ، بسيط كان يوجد أمام باب الدباغين وباب ايلان من مراكش . ينظر: البيدق: كتاب

الأنساب في معرفة الأصحاب، المصدر السابق ، ص : 24 .

(4) صالح بن قربة: عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب ، (د . م) ، سحب الطباعة الشعبية للجيش، (د . ط) ، 2007 م ،

ص : 29 .

(5) عماد الدين إسماعيل أبي الفدا : المختصر في أخبار البشر ، بيروت ، دار المعرفة ، (د . ط) ، مج 1 ، (د . ت) ، ص

ص : 233 .

اعتبار أنها كانت مرغمة على بيعة ابن تومرت ، أو أنها أصبحت خائفة على مصيرها بعد تغيير موازين القوى في معركة البستان<sup>(1)</sup> .

### المطلب الثاني : الصراع في عهد عبد المؤمن بن علي :

أولاً- نسبه ومولده :

إختلف المؤرخون حول نسب عبد المؤمن بن علي كما اختلفوا تماماً في تحديد نسب ابن تومرت، فالبيدق يذكر أن عبد المؤمن بن علي هو علوي بن يعلا بن الحسين بن كونة بنت إدريس بن عبد الله بن القاسم بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب رضي الله عنه<sup>(2)</sup>.

والمعروف عن عبد المؤمن بن علي أنه ينتسب إلى قبيلة كومية من قبائل صنهاجة بالمغرب الأوسط من قرية تاجرة ، ولكنه لما كانت قبيلة كومية قد صارت على عهد

(1) حمدي عبد المنعم محمد حسين : المرجع السابق، ص: 108.

(2) البيدق: كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، المصدر السابق ، ص : 13.

المؤمن واحدة من قبائل الموحدىن فى بلاد المصامدة ، فلم يكن من الغربىب أن يتخذ نسباً عربياً كما فعل المهدي ابن تومرت<sup>(1)</sup> .

ويذكر المراكشى عن عبد المؤمن أنه إذا نعت بنسبه الكومى يقول : " لست منهم وإنما نحن لقيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، ولكومية علينا حق الولادة بينهم والمنشأ فيهم وهم الأخوال " .<sup>(2)</sup>

ويذكر ابن خلدون : " هو عبد المؤمن بن على بن مخلوف بن يعلى بن مروان بن نصر بن على بن عامر بن الأمير بن موسى بن عبد الله بن يحيى بن وريغ بن صطفور بن نفور بن مطماط بن هودج بن قيس عيلان بن مضر"<sup>(3)</sup> . أما عن سنة مولده فقد اختلف كذلك فى تحديدها فعبد الواحد المراكشى يحددها بين سنة 490هـ / 1097م ، وسنة 500هـ / 1106م<sup>(4)</sup> .

أما عن ابن القطان فقد حدد لنا سنه عند وفاته فقدرها بـ 63 سنة ، فيكون بذلك مولده فى سنة 494هـ / 1101م<sup>(5)</sup> ، وهذا تاريخ مقبول حسب إعتقادنا على أساس أن يكون لقاء عبد المؤمن بالمهدي فى ملالة حوالى سنة 512هـ / 1118م ، وعمره حوالى 18 سنة . إذن فهو فى مقتبل شبابه ويكون عند ولايته فى 35 سنة<sup>(6)</sup> .

### ثانياً - بيعته :

لقد توفي ابن تومرت على أعقاب موقعة البحيرة ، لكن أعيان الموحدىن وعلى رأسهم عبد المؤمن ، كتموا أمر وفاته حفاظاً على كيان الدولة الوليدة ، خاصة فى هذا الوقت العصيب ، الذى تلقت فيه الدولة أكبر هزيمة لها . وتشير بعض المصادر إلى أن فترة السر والكتمان لوفاة المهدي ابن تومرت قد استمرت من ثلاث إلى ستة سنوات ، حسب ما ذكره ابن القطان والنويرى<sup>(7)</sup> ، لكن ابن خلدون شكك فى ذلك وقال : " لما هلك المهدي وقد

(1) سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج5، ص : 272.

(2) عبد الواحد المراكشى : المصدر السابق، ص : 265.

(3) عبد الرحمان بن خلدون : كتاب العبر ، ج 6 ، المصدر السابق ، ص : 166 .

(4) عبد الواحد المراكشى : المصدر السابق ، ص : 265.

(5) ابن القطان : المصدر السابق، ص: 146.

(6) شارل أندري جوليان : المرجع السابق ، ج 2 ، ص : 135 .

(7) النويرى: نهاية الأرب فى معرفة الأدب ، تح : أبوضيف ، الدار البيضاء ، ( د . ط ) ، ( د . ت ) ، ص 405.

عهد من بعده لكبير صحابته عبد المؤمن الكومي من غير جلدتهم ، فأرجأوا الأمر إلى أن تخالط بشأن الدعوة قلوبهم وكنتموا موته وزعموا ثلاث سنين يوهمون بموته... " (1) .

وفي هذه الأوقات إختار جماعة من أهل العشرة عبد المؤمن بن علي كخليفة لابن تومرت ، بناء على وصية تركها هذا الأخير أثناء مرضه(2) ، وقد ذكرها المراكشي بقوله أن ابن تومرت قبل موته بأيام يسيرة جمع أتباعه ... وأمر على الجيش عبد المؤمن بن علي وقال : " أنتم المؤمنون وهذا أميركم . فاستحق عبد المؤمن من يومئذ إمرة المؤمنين " (3) .

وهكذا تم حسب وصية ابن تومرت الإعلان رسميا في سنة 528 هـ/1134م عن بيعة عبد المؤمن بن علي من طرف ثلاثة من أهل العشرة ، وهم : عمر أصناج وعبد الرحمان بن زجو وأبو إبراهيم إسماعيل الهزرجي ، وتعتبر هذه البيعة هي البيعة الخاصة(4) .

كما انفرد صاحب كتاب مفاخر البربر بإيراد بيعة عبد المؤمن بن علي ، التي كانت يوم الخميس 14 رمضان 524 هـ / 1130م ، وربما يقصد هنا بالبيعة الخاصة التي كانت عقب وفاة المهدي مباشرة(5) .

أما البيعة العامة فتمثلت في ظهور رجال القبائل وكذلك الجند المرتزقة المسجلة أسماؤهم في ديوان الجند والمتطوعين في سبيل الله ، فكان إعلانهم الطاعة لأميرهم كونهم العمود الأساسي للدولة ، وإستغرقت البيعة حوالي 3 أيام ، نظرا لكثرة الوفود التي توالى على العاصمة خاصة من بلاد السوس(6) . و يذكر المؤرخون أن عبد المؤمن كان أول من لقب نفسه بأمير المسلمين ، ليؤكد أنه ند لخليفة المؤمنين في بغداد و إدعاء إمارة المسلمين

(1) عبد الرحمان ابن خلدون: كتاب العبر، المصدر السابق ، ج6، ص - ص : 305-306.

(2) الرعيبي القيرواني: المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، تح : محمد شام ، (د.م)، المكتبية العتيقية، ط3، 1387 هـ ، ص:20.

(3) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص-ص : 259-260.

(4) عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص : 295.

(5) مؤلف مجهول: مفاخر البربر، تح : عبد القادر يوبابة، (د.م)، دار قراقر، ط1، 2005م ، ص : 208 .

(6) سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج5 ، ص: 282.

يؤكد أن طموح عبد المؤمن لم يكن يقف عند المغرب فقط ، بل يشمل الأندلس كما سنرى لاحقاً . (1)

### ثالثاً - بداية التوسع :

كانت مهمة عبد المؤمن الثانية هي القضاء التام على دولة المرابطين ، فبادر إلى تطبيق خطة الجبلين ، التي أوصى بها المهدي من قبل حيث قال : " لا تنزلوا إلى السهل واتركوا العدو يصعد إليكم بنفسه " ، فبدأ عبد المؤمن بغزوات خاطفة مكنته من كشف نقاط ضعف العدو . (2)

فبدأ بغزو تادلا (3) ثم إستولى على درعة (4) سنة 526هـ / 1132م ، ثم غزا بلاد فازار وغيائة وبلاد تاسعون ، وقتل واليها أبا بكر بن مازرو ، كما إنتفضت القبائل الجبلية على المرابطين في سائر أنحاء المغرب فأرسل علي بن يوسف جيشاً لقتال الموحدين ، فانتصر عليهم عبد المؤمن ، وعاد ابن تاشفين إلى مراكش مهزوما في سنة 533هـ . كما إشتبك في هذه السنة عبد المؤمن مع الروبرتير (5) قائد الروم فانتصر عبد المؤمن مرة أخرى أخرى عليه ، وهنا تجدر الإشارة إلى أن المرابطين قد إستعانوا بقوى مسيحية (6) . وفي هذه السنة خرج عبد المؤمن في جيش كثيف غازيا المغرب الأوسط ، فأطاعته قبائل غمارة بشمالي المغرب ، وقد توفي علي بن يوسف سنة 537هـ / 1142م . (7)

وحدث خلاف في ظل هذه الأثناء بين قبائل لمتونة و مسوفة (8) من قبائل المرابطين، المرابطين، فإنظمت مسوفة إلى الموحدين ، وهو مازاد الخلل في صف تاشفين بن علي .

(1) عبد الكريم غلاب: المرجع السابق ، ج 2 ، ص : 201.

(2) شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ج2، ص : 135.

(3) تادلا: بفتح الدال واللام ، من جبال البربر بالمغرب قرب تلمسان وفاس . ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج2، ص: 5.

(4) درعة : وتعرف بواديها الكبير ، يجري من المشرق إلى المغرب ، و منبعه من جبال درن . ينظر : مؤلف مجهول :

الإستبصار ، ص : 206

(1) الروبرتير: هو أحد قواد أمير برشلونة وأراغون ، وقد أسره المرابطون في إحدى المعارك ، ثم أسلم وأصبح من

رجال الأمير علي بن يوسف ، قتل بمنطقة السوس من طرف الموحدين . ينظر: عبد الرحمان بن خلدون: كتاب العبر،

ج6 ، المصدر السابق ، ص- ص : 575-576 .

(2) سعدون نصر الله : المرجع السابق، ص 290 .

(3) عبد الرحمان بن خلدون: كتاب العبر، ج6، المصدر السابق ، ص: 484.

(3) مسوفة: وهي إحدى قبائل صنهاجة ، وكانت مضاربيها بالصحراء ، تمتد في منطقة قاحلة مجذبة تقع بين سجلماسة في

الشمال وأودغشت في الجنوب . ينظر: مؤلف مجهول: الإستبصار، المصدر السابق ، ص : 179.

ثم قام عبد المؤمن بمحاصرة مدينة سبته<sup>(1)</sup> ، إلا أنه لم يستطع فتحها ، فتركها وتوجه نحو جبال غياثة وبطوبة ففتحها<sup>(2)</sup> . كما إنشق على تاشفين بن علي أيضا بنو ومانو من بطون زناتة ، الذين كانوا أحلافهم ضد بني حماد ، وقدم أشياخهم طاعتهم للموحدين ، فوجه إليهم جندا تحت رئاسة الروبرتير قائد الروم ، فسارع الموحدون إلى إيجادهم ، فتحصن بنو ومانو ببعض التلال فصعد إليهم المرابطون ، ولكنهم ردوا على أعقابهم.

وكان بنو الواحد وبنو يلومي من أنصار المرابطين ، فسار إليهم فيلق من جيش الموحدين تحت رئاسة " ابن وانودين" و" ابن زجو" و" ابن يومر" ، وعاشوا في بلادهم وإستاقوا كثيرا من الغنائم ، وسار عسكر المرابطين، و لما وصل الخبر إلى عبد المؤمن سار بقواته من أحواز تلمسان إلى أراضي يلومي . وكان تاشفين بن علي قد قدم في نفس الوقت إلى تلمسان وحشد فيها عسكرا ، وأرسله على عجل إلى المرابطين في منداس وإنظم إليهم الروبرتير في حشوده ، وبذلك إجتمع للمرابطين جند كبير ، فلما شعر عبد المؤمن بتفوق خصمه لجأ إلى خطة حربية طريفة تسمى بالمربع<sup>(3)</sup> . وفي هذا السياق جاء في الحلل الحلل الموشية أن ابن اليسع قال : " حدثني غير واحد من الموحدين لما نزلنا من جبل تلمسان نريد بلاد زناتة ، إتبعنا المرابطين فتلاقينا معهم ، فصنعنا دائرة مربعة في البسيط ، جعلنا فيها من جهتها الأربع صفا من الرجال بأيديهم القنا الطوال والطوارق المانعة ، و وراءهم أصحاب الدروق والحراب صفا ثانيا من ورائهم . و يوجد ورائهم أصحاب المخالي فيها الحجارة ، و ورائهم الحراب و الحجارة والسهام الناشرة ، فحين ماتوا من الدفع ، وأدبروا ، خرج خيل الموحدين من طرق تركوها... " .<sup>(4)</sup>

وكان تاشفين قد أقام بمحلته في تلمسان ، وكانت المناوشات كل يوم بين الفريقين قائمة ، واستمر ذلك مدة شهرين ، ولم تقع معركة حاسمة حتى خرج جيش بجاية ، واشتبك مع الموحدين في معركة عنيفة في ظاهر الصخرتين ، وبعث قائدها سرا إلى عبد المؤمن يعده بالتوحيد ، وأنه متى إفتتح المغرب ، فإنه إذا ورد المشرق وجده مفتوحا. عندئذ أدرك

(4) سبته : وهي مدينة على ساحل البحر، وبها بساتين وأجنة تقوم بأعلاها ، وماؤها يستخرج من داخلها من آبار، ومن خارجها أيضا من آبار مياهها عذبة . ينظر: ابن حوقل : المصدر السابق، ص : 79.

(5) عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص : 697.

(3) محمد بن عمرو الطمار: المرجع السابق، ص : 55.

(4) مؤلف مجهول: الحلل لموشية ، المصدر السابق ، ص : 108.

تاشفين بن علي هذا الأمر، فقرر ترك محلته بتلمسان ، وغادر في قواته إلى وهران<sup>(1)</sup> ، وبعث ابنه إلى مراكش في جماعة من أشياخ لمتونة و معه كاتبه ، وكان تاشفين قد بنى حصنا بوهران على البحر ، حيث دبر مع قائد الأسطول أن يوافيه إلى وهران ، فقدم إليه هذا الأخير المدعو علي بن عيسى بن ميمون ، و الذي جاءه من ألمرية بعدة سفن ، و أرسى قريبا من معسكر المرابطين ينتظر تطور الأحداث ، وكان ذلك شهر شعبان سنة 539هـ /يناير 1145م<sup>(2)</sup>.

لكن ما كاد المرابطون يتحركون نحو الشمال، حتى سار على أثرهم عبد المؤمن بقواته ، وبعث في مقدمتهم الشيخ أبا حفص عمر بن يحيى الهنتاتي<sup>(3)</sup> ، وعسكر من بني ومانو ، فنفذوا إلى بلاد بني يلومي و بني عبد الواد و بني رسخين و بني توجين من زناتة ، وكلهم من أنصار لمتونة ، فحاصروهم حتى استسلمو و اتفقوا على بعث مجموعة من أعيانهم لعبد المؤمن، ليقدموا له الطاعة فقبل منهم هذا الأخير<sup>(4)</sup>.

وصل الموحدون إلى وهران ، وعسكروا فوق الجبل المطل عليها ، وكان المرابطون يرقبون تحركات الموحدين ، لكن تراجع بعض قوات المرابطين وإنسحابهم تاركين أميرهم لمصيره ، زاد من تشجيع القوات الموحدية في شن هجوم كاسح واقتحمت جيوش المرابطين ، حتى كادت تصل إلى مكان تاشفين ، فوقع الإضطراب في معسكر المرابطين ، وهو ما أدى إلى هروب تاشفين إلى الحصن ، فلققه الموحدون وخشي تاشفين الهلاك فغادر الحصن على فرسه ، متجها نحو الأسطول ليحمله إلى الأندلس ، إلا أن فرسه تردت به تحت جناح الظلام ، فسقط في هوة كبيرة ومات الفرس والفارس ، وكان ذلك في ليلة السابع والعشرين من رمضان سنة 539هـ/1144م ، و أخذ الموحدون جثته وقطعوا

(1) وهران: وهي مدينة حصينة ذات مياه سائحة وبساتين ، ولها مسجد جامع . وقد بناها محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين . ينظر: البكري : المصدر السابق، ص : 70.

(2) بن عذاري المراكشي : المصدر السابق، ص : 16.

(3) أبا حفص عمر بن يحيى الهنتاتي: موحد ملوك بني حفص، ويعرف بعمر أيتنى ، كان من جماعة ابن تومرت العشرة ، وساهم في الإستلاء على مناطق عديدة ، توفي عام 571هـ / 1175م . ينظر: البيدق: أخبار المهدي بن تومرت ، المصدر السابق ، ص : 37.

(4) محمد بن عمرو الطمار، المرجع السابق، ص : 57

رأسه ، وبعثوا به إلى عبد المؤمن بتينملل ، فعلق في شجرة كانت بإزاء مسجد المهدي بن تومرت. (1)

و في 22/540هـ شباط 1145م ، ولي بعده أمير المسلمين إبراهيم بن تاشفين ، فبوع بمراكش على إثر وفاة تاشفين ، وفي المقابل فتح الجيش الموحي على بقيادة أبو حفص مدينة وهران ، و أثنى في المرابطين حتى أهلك معظمهم ، و إلتجا مجموعة منهم إلى الحصن ، فحاصرهم الموحدون وقطعوا عنهم الماء ، حتى استسلموا ومع ذلك قتلهم الموحدون ، وكان هذا يوم عيد الفطر من سنة 539هـ/1144م . و تعتبر مذابح وهران من أفضع مظاهر الموحدين دموية. (2)

### فتح مدينة فاس :

توجه عبد المؤمن بعسكره إلى فاس ، وفي طريقه استولى على أجريسيف ، ثم المقرمدة ، فلما علم والي فاس يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين المعروف بالصحراوي بقدم الجيش الموحي ، خرج لملاقاتهم لكنه انهزم على أيديهم . (3) وبعدها نزل الموحدون في موقع يعرف باسم "عقبة البقر" ، وهناك قسم عبد المؤمن جيشه إلى قسمين . أحدهما بقيادة أبي بكر مع صنهاجة و هسكورة ، و توجه إلى توج إيجران بفاس ، أما عبد المؤمن فقد ذهب مع بقية الجيش إلى جبل العرض ، وأمر عبد المؤمن جيشه بقطع الأشجار لسد مجرى الوادي ، كما قام بتغيير المجرى ، حيث كان إتجاهه نحو باب المدينة فجرفت المياه باب السلسلة وهدمت أزيد عن ألفي دار ، و هلك كثير من بها ، فدخل عبد المؤمن مدينة فاس وأمن أهلها، إلا المرابطين منها فقد قتلهم وأمر بهدم السور، وقال: "لا

(1) مؤلف مجهول : الحلل لموشية ، ص - ص : 133-134.

(2) محمد بن عمرو الطمار، المرجع السابق، ص : 58

(3) يحيى بن أبي بكر ابن يوسف بن تاشفين المعروف بالصحراوي. وهو أحد رجال المرابطين تولى قيادة الجيش المرابطي بغاس صد جيوش الموحدين ، لكن هزيمته فر إلى الأندلس. ينظر : البيدق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص - ص 61-62.

نحتاج إلى سور، وإنما الأسوار هي سيوفنا وعدلنا"، وكان ذلك سنة 540هـ/1145م<sup>(1)</sup>، أما الجزء الثاني فيذكر أن مدينة فاس فتحت سنة 542هـ/1147م<sup>(2)</sup>.

وأثناء حصار عبد المؤمن لفاس أرسل كتيبة إلى مكناسة<sup>(3)</sup>، حيث خرج عليهم بدر بن لجوط و قتلهم جميعا ، فلما علم عبد المؤمن بذلك سير معظم جيشه ليلا ، وفاجئ أهل مكناس وفتح جميع أراضيهم<sup>(4)</sup> ، ما عدا تاجرارت ونكل بسكانها إنتقاما لما فعله بدر بن لجوط بأصحابه<sup>(5)</sup> ، وتكرر المشهد الدموي في مكناسة ، حيث سفك الموحدون عند دخولها الدماء وسبوا النساء والذرية وإستباحوا الاموال .<sup>(6)</sup>

### فتح مراكش:

بدأ عبد المؤمن توجهه إلى مراكش عن طريق مهادنة السوس الأدنى ، وما يتاخمه من شمال بلاد الريف ، كما أرسل في نفس الوقت جيشا ، بقيادة أبي حفص عمر بن يحيى الهنتاتي لغزو برغواطة<sup>(7)</sup> في إقليم تامسنا ، حيث جاء بعدد كبير من الغنائم ، فقسمت على الموحدين ، ثم حدث لقاء عاجل بين الخليفة عبد المؤمن و أبي حفص الهنتاتي ، و بعدها توجه هذا الأخير في البداية نحو مراكش ، وتبعه عبد المؤمن بالقوة الرئيسية من الموحدين<sup>(8)</sup> ، وكان غرض عبد المؤمن توجيه الضربة القاضية لسultan المرابطين ، وكانت مراكش يومئذ أزخر المدن الإفريقية سكانا ، وكانت تحميها سلسلة من الحصون القوية ، فنزل عبد المؤمن بجبل إيجليز الذي يشرف على مراكش ، و ضرب عنده القبة الحمراء<sup>(9)</sup> ، وذكر صاحب الحل أنه نزل بجبل إيجليز ، وبنى عليه مدينة إستند إليها وبنى وبنى فيها مسجدا وصومعة طويلة يشرف منها على مراكش ، وذلك في محرم

(1) البيدق: أخبار المهدي بن تومرت ، المصدر السابق ، ص 99.

(2) ابن ابي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص 189.

(3) علي الجزنائي: جني زهرة الأس في نباء مدينة فاس ، تح عبد الوهاب ابن منصور، الرباط، المطبعة الملكية، ط2، 1411هـ/1991م، ص 43.

(4) مكناسة: مدينة بالمغرب في بلاد البربر على البر الاعظم بينها وبين مراكش أربع عشرة مرحلة نحو المشرق، اختطها يوسف بن تاشفين ملك المغرب. ينظر: الحموي: المصدر السابق، ص 181.

(5) السيد عبد العزيز : المرجع السابق، ص :698.

(6) ابن غازي : الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون ، تح : عبد الوهاب بن منصور، الرباط ، المطبعة الملكية ، ط2، 1998م ، ص : 26.

(7) برغواطة :

(8) سعد زغلول : المرجع السابق ، ج5 ، ص : 333.

(9) البيدق: أخبار المهدي بن تومرت ، المصدر السابق ، ص : 102.

1146هـ/1146 م . وبعدهما أيقن عبد المؤمن بعدم تمكنه من دخول المدينة عنوة ، عمد إلى حصارها حصارا دقيقا ، أدى هذا إلى نقص الموارد وزاد الأمر عليهم فأكلوا الأطعمة الفاسدة وأدى بهم الجوع والمرض إلى موت الكثير منهم . (1)

وفي هذه الأثناء خرج جيش المرابطين في مراكش بقيادة إسحاق بن علي بن تاشفين (2) ، الذي نصبه المرابطون أميراً عليهم بعد خلع إبراهيم بن علي بن يوسف ، لمقاتلة الموحدية ، فهزمهم الموحدون عند أول لقاء وتراجع المرابطون إلى باب الشريعة ، بعدما قتل عدد كبير في المعركة أثناء تسابقهم إلى دخول مراكش (3) ، وفي يوم السبت بعد صلاة الظهر 18 من شوال سنة 541هـ / 24 مارس 1147م ، تمكن الموحدون من تسلق السلاسل واقتحموا المدينة (4) ، وقتلوا عددا كبيرا من أهلها . وتصور لنا بعض المصادر مشاهد القتل والسلب التي شهدتها العاصمة المرابطية بعد سقوطها ، بحيث تقدر إحدى الروايات عدد من قتل في ذلك اليوم، بما يفوق سبعين ألف رجل ، رغم ما يحيط هذه الرواية من المبالغة (5) ، كما تورد رواية ثانية حجم المأساة ، بوصفها لأنهار الدم التي جرت جرت في سكك المدينة . (6)

(1) مؤلف مجهول: الحلال لموشية، ص 103.

(2) إسحاق بن علي بن تاشفين : آخر أمراء المرابطين ، تولى الحكم بعد وفاة والده علي في 539هـ / 1144م . توفي سنة

سنة 542 هـ/1147م. ينظر: خير الدين الزركلي : المرجع السابق، ج1، ص : 295.

(3) عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص : 700.

(4) مؤلف مجهول: الإستبصار، ص : 209.

(5) مؤلف مجهول : نفس المصدر ، ص : 139.

(6) ابن دحية : المطرب في أشعار أهل المغرب ، تح : إبراهيم الأبياري وآخرون، بيروت، دار العلم ، ( د . ط ) ،

1955م ، ص : 27.

### فتح الأندلس :

إذا كان إقتحام وهران واحتلال عاصمة المرابطين قد فتحا أبواب النصر أمام عبد المؤمن بن علي ، فإن ذلك لم يدم طويلا ، لأن الطريق لا يزال طويلا خاصة في الجبهة الأفريقية والعدوة الأندلسية المقابلة ، حيث أن بعض أهلها إنتهزوا فرصة ضعف تاشفين بن علي وتوالي الهزائم عليه في المغرب على يد الموحدين ، وأعلنوا الثورات في عدة أماكن في الأندلس<sup>(1)</sup> ، في حين إختارت قوى أخرى الإنضمام لدولة الموحدين ، خوفا من غزو قوى النصارى ، وتحقق ذلك ، حيث وفد على الخليفة عبد المؤمن بن علي أعيان الأندلس لإعلان البيعة له<sup>(2)</sup> . يقول ابن الخطيب : " فأجابهم الخليفة بن علي " (3) ، و كان في مقدمتهم علي بن عيسى بن ميمون قائد الأسطول المرابطي ، حيث خطب للموحدين في قادس ، وكان إعلانا منه على تبعيته للموحدين ، وكذلك فعل زعيم حركة قرطبة ابن حمدين القاضي<sup>(4)</sup> . وزعيم حركة الموحدين أحمد بن القسي<sup>(5)</sup> ، وقد أكرم عبد المؤمن وفدهم : حيث يقول صاحب الحلل الموشية : " ولما تخلص له ملك المغرب -يقصد هنا عبد المؤمن-

(1) عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص : 703.

(2) معمر الهادي محمد القرطوي : جهاد الموحدين في بلاد الأندلس، بوزريعة، الجزائر، دار هومة، (د.ط)، 2005 م ، ص : 88.

(3) ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويغ قبل الإحتلام من ملوك الإسلام، تح : ليفي بروفنسال، بيروت، (د . د)، ط2، 1956م ، ص : 265.

(4) محمد العروسي المطوي : الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1982م ، ص- ص : 222-223.

(5) أحمد بن قسي : هو أبو القاسم بن الحسين بن قسي ، رومي الأصل من بادية شلب ، كان متصوفا وزاهدا ، ثار ضد المرابطين عند اختلال أمرهم، ثم انضم إلى الموحدين ، توفي سنة 546هـ / 1151م . ينظر: البيدق: أخبار المهدي بن تومرت ، المصدر السابق ، ص : 88.

وصلته بيع من بعض المواضع بجزيرة الأندلس ، وأول وفد وفد عليه هم أهل إشبيلية " (1).  
 أما عند دخول الجيوش الموحدية للأندلس ، فقد اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي دخل فيها الجيش الموحدية إلى الأندلس وعن كيفية دخوله ، حيث انفرد صاحب روض القرطاس برواية مفادها أن تدخل الموحدين في بلاد الأندلس كان في أواخر سنة 539 هـ / 1144 م ، حيث يقول في هذا الصدد : " لما فتح تلمسان - يقصد هنا عبد المؤمن- بعث إلى الأندلس جيشا يتكون من عشرة آلاف فارس من أجناد الموحدين ، فنزل بساحل الجزيرة الخضراء ، و أول مدينة فتحوها هي شريش(2) ... كان فتح شريش في أول يوم من شهر ذي الحجة 539هـ/ الجمعة 25 مايو 1145 م " (3).

لكن رواية كل من ابن الأبار و ابن خلدون و ابن الأثير ، تعارض رواية صاحب روض القرطاس، وهذه الرواية مفادها أن دخول الموحدين في الأندلس ، يرجع إلى سنة 540 هـ/ 1145م . كما أن أول جيش موحدية عبر إلى الأندلس كان في سنة 541 هـ / 1146م (4). و يبدو أن هذه الرواية هي الأرجح ، على اعتبار أنه لا يمكن لعبد المؤمن بن علي أن يرسل جيشا إلى الأندلس في ذلك الوقت المبكر ، بالإضافة إلى تمنع مراكش عليه ، ولأنه لا يتم القضاء على دولة المرابطين قضاء نهائيا حتى ذلك الحين ، ولم يكن ذلك الدخول حسب اعتقادنا إلا بعد أن وفد عليه زعيم ثورة الغرب ، أحمد بن قسي في ربيع الثاني 540هـ/ 1145م ، و الذي شجعه على طرد المرابطين من الأندلس ، وخصوصا بعد انضمام الأسطول المرابطي بقيادة علي بن عيسى بن ميمون إليه ، كما وفد عليه زعيم ثورة قرطبة ابن حمدين، و كان ذلك في سنة 540 هـ/ 1145م ، لذلك وجه عبد المؤمن أول جيش موحدية بقيادة براز بن محمد المسوفي ، الذي كان أحد قادة الأمير تاشفين، ثم انضم إلى الموحدين بعد مصرع أميره ، وسار بصحبته بن قسي وأرسل جيشا ثانيا بقيادة ابن سعيد ، ثم بعث عبد المؤمن جيشا ثالثا بقيادة عمر بن صالح الصنهاجي، و التي كانت

(1) مؤلف مجهول: الحلل لموشية، المصدر السابق، ص : 47.

(2) شريش: مدينة تاريخية مهمة ، تقربها وقعة المعركة الحاسمة بين طارق بن زياد وآخر ملوك القوط عام 93 هـ/ 711م ، وبعدها تم فتح المسلمين للأندلس . ينظر: عبد الرحمان بن خلدون: كتاب العبر، ج6، المصدر السابق ، ص : 313.

(3) ابن أبي زرع الفاسي : المصدر السابق ، ص : 188 . والسلاوي : الاستقصاء ، ج2 ، المصدر السابق، ص: 116.

(4) أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاةي البليسي المعروف بابن الأبار: الحلة السيرة، تح : حسين مؤنس، القاهرة، الشركة العربية ، 1963 م ، ص : 199 .

مهمته إزالة سلطان المرابطين بالأندلس والقضاء على الحركات المحلية التي ظهرت بها ، وكذا حماية حدود العدو المغربية من أي هجوم محتمل من طرف المرابطين بالأندلس (1)

وكان وصول هذا الجيش في شهر محرم 541هـ / 1146م ، حيث استطاع الإستيلاء على جزيرة طريف والجزيرة الخضراء (2) ، دون مقاومة تذكر، ثم اتجه الجيش صوب شريش التي أدت فروض الطاعة طوعا ، ثم سيطروا على مرتلة حاضرة ابن قسي ، واستردوا شلب (3) . ويبدو أن توجهات أحمد بن قسي كان لها كبير الأثر في نجاح الموحدى في جولتهم الأولى غرب الأندلس، (ينظر الملحق رقم 06) وهذا يوضح دور الأندلسيين في مساندة الموحدى في جهادهم بالأندلس، نظرا لخبرتهم في فنون القتال ومعرفتهم لطبيعة البلاد (4). وبعد إستيلاء الموحدى على قواعد غرب الأندلس ، سار الجيش الموحدى نحو إشبيلية (5) صحبة قوات المريدى التي خضعت لهم ، والظاهر أن اختيار الموحدى لمدينة إشبيلية يرجع إلى أهميتها الاستراتيجية، فهي من أعظم المدن الأندلسية (6) ، حيث تقع على شاطئ نهر عظيم يسمى الوادى الكبير، وسيطرتهم على هذه المدينة يكفل لهم تأمين الإتصال البرى والبحرى مع غيرها من المدن كقرطبة وبطليوس (7)، فاستولوا على طليطلة والقصر صلحا، وهما قلعتى إشبيلية من جهة الغرب، ثم ضربوا حصارا على إشبيلية بمساندة الأسطول المغربى، بقيادة علي بن عيسى بن ميمون من ناحية البحر.

غير أن حصار المدينة لم يدم طويلا حيث استسلمت في شعبان من عام 541هـ / 1141م (8)، فقتل عدد كبير من أفراد الحامية المرابطية، وفر من لم يدركهم القتل إلى

(1) محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ج 1 ، ص: 327.

(2) الجزيرة الخضراء: مدينة مشهورة بالأندلس ، قبالتها من البر سبته وأعمالها ، و متصلة بأعمال شذونة، و هي من

أشرف المدن وأطيبها أرضا. ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج2، ص : 136.

(3) ميرتله : هي مدينة حصينة بالأندلس ، وتقع على نهر آنا في شرق شلب . ينظر: الحموي: نفس المصدر، ج5، ص :

309.

(4) عبد الله علام : المرجع السابق، ص : 182.

(5) إشبيلية: هي مدينة قديمة من بنىان الإسبان ، وهي تقع غرب قرطبة وشرق لبلبة . ينظر: مؤلف مجهول : ذكر بلاد

الأندلس، المصدر السابق ، ص : 60.

(6) الحموي: المصدر السابق، مج1، ص : 195.

(7) بطليوس: وهي مدينة على حدود البرتغال ، تقع بالقرب منها . كانت بها موقعة الزلاقة . ينظر: عبد الرحمان بن

خلدون: كتاب العبر، ج6، المصدر السابق ، ص: 234.

(8) عبد الرحمان بن خلدون: كتاب العبر، ج6، نفس المصدر ، ص: 234.

حصون قرمونة المنبوعة، وكتب الموحدون بالفتح للخليفة عبد المؤمن. وقد عبر وفد من أهل إشبيلية، وعلى رأسهم القاضي أبو بكر بن العربي<sup>(1)</sup> البحر إلى مراكش، معلنين بيعتهم للخليفة عبد المؤمن.<sup>(2)</sup> (ينظر الملحق رقم 07)

(1) أبو بكر بن العربي: من أهل إشبيلية، يكنى أبا بكر. سمع من علماء إشبيلية وقرطبة، ثم خرج للحج سنة 485هـ/1092م، حيث لقي بمصر أبا الحسن الخلعي ولقي بالشام أبا نصر المقديسي، ودخل بغداد فسمع من عدة علماء، ثم رجع إلى مصر، حيث درس على يد الطرطوشي و انصرف إلى الأندلس سنة 495هـ/1102م. ينظر: أبو الوفاء إبراهيم بن علي اليعمرى المدني بن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تح: مأمون بن محي الدين الجنان، بيروت، دار الكتب العلمية، (د. ط.)، 1996م، ص: 120.

(2) مؤلف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص: 147.

## المبحث الأول : الثورات التي اندلعت في وجه المرابطين وازدياد هجمات النصارى المطلب الأول : ثورة المريرين:

لقد كان من الطبيعي أن تنعكس أحداث المغرب على شبه الجزيرة الأندلسية ، ويكون لها رد فعل عنيف على الحكم المرابطي بها ، والذي إتخذ شكل ثورة عارمة اجتاحت الأندلس من غربها إلى شرقها، ومن بين هذه الثورات ، نجد ثورة المريرين والتي جاءت نتيجة لسوء الأحوال الإجتماعية ، حيث مال البعض إلى التزهّد والتصوف<sup>(1)</sup>. ومن هؤلاء القاضي ابن العربي الذي وصف حالة المجتمع في كتابه " سراج المريرين " ، حيث يقول : " وقد عظم الخطب في هذا الزمان ، حتى لا يدري العبد على أي شيء يبكي . أعلى فوات دنياه أم على فوات دينه ، أم على إخوانه في القربات ، أم على أعوانه في الصالحات ..... أم على أميره الذي لا يرعى فيه إلا ولا نمة أم على فقد صبره ..... " (2) .

وهكذا أزداد إنتشار الفكر الصوفي في الأندلس ، وخاصة في القرن السادس للهجري وامتد انتشاره من شرق الأندلس إلى غربها ، فظهرت عدة شخصيات صوفية مهمة . وقد تحولت بعض هذه الجماعات إلى تنظيمات ، فالمريرين غالبيتهم من الصوفية، و الذين كانوا سنيين في المذهب<sup>(3)</sup> ، كما ظهرت فرقة أخرى للمريدين متطرفة نوعا ما ، وذلك في غرب الأندلس بزعامة ابن قسي ، وهذه الفرقة تميل إلى المذهب الباطني ، حيث يقول ابن الخطيب في هذا الصدد : " و كثر خوضهم في الكتب التصوفية وموضوعات الغلاة الباطنية " (4) .

ويذكر ابن الأبار أن ابن قسي قد أقبل على قراءة كتب أبي حامد الغزالي ، لكي يجذب إليه الأتباع وقلوب الناس ثم ينشر أفكاره الثورية<sup>(5)</sup> ، وهذا الأمر يرجع حسب اعتقادنا إلى الخلاف الذي حصل بين بن القسي وبين ابن العريف شيخ المريرين في الشرق الذي عرف بالإنترام بالكتاب والسنة والتزهّد ؛ ويرى أن تغيير الوضع يكون بوعظ الحاكم

(1) عبد الله علي علام : الدولة الموحدية بالمغرب في عهد المؤمن بن علي ، مصر، دار المعارف ، ( د . ط ) ، 1971م ، ص : 79 .

(2) ابن العربي: سراج المريرين في سبيل المتهددين ، مصر، دار الكتب المصرية ، ( د . ط ) ، ( د . ت ) ، ص: 75 .

(3) عصمت عبد اللطيف دندش : المرجع السابق ، ص- ص: 50-57 .

(4) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم الثاني ، المصدر السابق ، ص: 249 .

(5) ابن الأبار : المصدر السابق ، ج2 ، ص: 197 .

والنصيحة وتبين الحق من الباطل ، والأهم على الإنسان أن يبدأ بإصلاح نفسه أولاً ، لأن هذا هو الأصل

### - بداية الثورة :

بعد وفاة أبي العباس بن العريف وبعض رفقائه في سنة 537هـ / 1142م ،<sup>(1)</sup> تخلص المرابطون من أكبر زعماء المريدين ، أدى هذا إلى ظهور شخصية أخرى من متعصبي المريدين ، وهو أبو القاسم أحمد بن قسي ، الذي أصبح طريقه مفتوحاً لزعامه المريدين في الأندلس ، فجمع حوله الأصحاب والأتباع وكانت مواهبه نادرة ، حيث جذبت إليه الكثير من المريدين ، فكانت آراؤه وأفكاره في الظاهر دينية صوفية ، ولكن في الحقيقة كانت أداة سياسية إستخدمها ابن القسي لتحقيق أطماعه الشخصية ، بغرض الوصول إلى الحكم ، وخاصة في هذه الفترة التي نجح فيها ابن تومرت في إضعاف المرابطين بالمغرب ، و أوشك الموحدون في القضاء عليهم<sup>(2)</sup> ، كما أظهر ابن القسي أنه على مذهب الإمام الغزالي كما فعل قبله ابن تومرت ، فكان ابن القسي يقرأ كتب الغزالي على أتباعه ويدافع على آرائه ، وكان يعقد مع أصحابه جلسات سرية يتشاور معهم في طرق وأساليب ثورته على المرابطين ، حيث وصف ابن الخطيب تجمعاته قائلاً : " دائرته التي دارت على الأندلس دائرة السوء " <sup>(3)</sup>.

و يبدو أن ابن القسي قد تأثر بمهدي الموحدين ، فادعى المهودية وتبعه في ذلك كثير من الناس . وفي سنة 539هـ / 1144م ، أراد ابن القسي أن يجس نبض المرابطين مستغلاً إنشغالهم مع الموحدين ، حيث أوعز إلى أحد قوائده بمهاجمة حصن منتيقوط ، و قد إستطاع أن يسيطر عليه في البداية ، لكن المرابطين تمكنوا من طرده ، وقاموا بالقبض عليه وقتله ، وعندما علم ابن القسي بذلك ، لاذ بالفرار خوفاً من لحاق المرابطين له .

(1) ابن خلكان : المصدر السابق ، ج4 ، ص: 236.

(2) عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق، ص- ص: 70-71.

(3) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم الثاني ، المصدر السابق ، ص : 249.

لكن ابن القسي لم ييأس من محاولاته ، حيث وجد أن الظروف أصبحت مواتية له بعد تجمع قوات المرابطين بالمغرب الأوسط لمواجهة الموحدين ، بالإضافة إلى مهاجمة النصارى للعديد من المدن الأندلسية ، فكان الموقف المرابطي في الأندلس في غاية الحرج (1) .

ولقد إتخذ المريدون التهليل والتكبير شعارا لهم ، كما إعتد ابن القسي في نشر دعوته على أبي بكر بن محمد بن يحيى الشلطيوشي والمعروف بابن القابلة ، الذي كان يسميه بالمصطفى ، حيث كان مطلعاً على جميع الأسرار ، ويقول ابن الخطيب في هذا الصدد : " كان فريد دهره صرامة ودهاء وشجاعة وبلاغة ورسائله مشهورة .... وجعله سيف ثورته وعضد دولته " (2) . فأخذت جموع ابن القسي تتزايد بإنضمام الأتباع إليه ، وعمل على استقطاب الأنصار بواسطة العطاء . يقول ابن سعيد في هذا السياق : " فأجزل العطاء من غير عمل ولا خراج ، وكان إذا أعطى يحثو بيده من غير عدد ، وكان أصحابه يقولون للناس إن المال يتكون عنده من الفراغ " (3) .

وفي هذه الأثناء وجد ابن القسي أن الظروف أصبحت سانحة له ، فمضى يدعو إلى تحرير البلاد من يد المرابطين ، و قد إستطاع أحد أتباعه رفقة تسعين مقاتلا أن يقتحموا حصن ميرتلة ، وذلك في صفر 539هـ / 1144م ، حيث أعلن في الحصن الدعوة لابن القسي ، و زحف المرابطون إلى تلك الجهات ، لكنهم لم يستطعوا تحرير الحصن ، فتركوها نظرا لإنشغالهم بالفتن في المغرب ، فواصل ابن القسي توسعه حتى وصل إلى طريانة ضاحية إشبيلية ، إذ أنه إلتقى هناك بطائفة من جند المرابطين ، يقودهم أبي زكريا ابن غانية(4) أمير المرابطين ، هذا الأخير الذي قدم من قرطبة عندما علم بتمرد الغرب ، فوصل إشبيلية وتتبع أثر المرابين ، وقتل عددا كبيرا منهم وفر ابن المنذر مع من بقي معه إلى شلب ، بينما ترك البطروجي للدفاع عن إشبيلية ، فحاصره ابن غانية مدة ثلاثة شهور ، غير أنه اضطر لرفع الحصار والعودة بعد أن بلغته أنباء قيام ثورة ابن حمدين بقرطبة،

(1) عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق، ص: 72.

(2) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم الثاني ، المصدر السابق ، ص: 250.

(3) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب ، تح : شوقي الضيف ، القاهرة ، ط3، ج1، 1978م ، ص: 351.

(4) هو أبو زكريا يحيى بن إسحاق بن حمو الصنهاجي اللورقي أخو ابن غانية ، كان فارسا شجاعا استولى على عدة مدائن ، و خطب لبني العباس ، توفي سنة 580هـ / 1184م ، فخلفه أبو زكريا . ينظر: الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج22، المصدر السابق ، ص: 369.

وربما كان من الممكن لابن غانية القضاء على ثورة الغرب، وإعادة الأمور كما كانت عليه لولا تمرد ابن حمدين ومن تبعه من القضاة<sup>(1)</sup> (ينظر ملحق رقم 08)

**المطلب الثاني : ثورة الفقهاء بالأندلس :**

---

(1) عصمت عبد اللطيف دندش : المرجع السابق، ص – ص : 75- 77.

حينما كانت أول الجيوش تتهياً لتنفيذ مهمتها في الأندلس ، إنطلقت الثورة الأولى لثورة الفقهاء في الخامس من شهر رمضان سنة 539هـ / 1145م من مدينة قرطبة ، في الوقت الذي كاد أميرها يحيى بن غانية يغادرها مع جيوشه ، للقضاء على حركة المرابطين في غربي الأندلس ، فانتهاز الفرصة قاضي المدينة أبو جعفر ابن حمدين ، وأعلن ثورته على المرابطين ، وسرعان ما بويع في مسجد الجامع ، وتسمى بأمر المسلمين واختار بعض الألقاب . منها : المنصور بالله ، ثم ما لبث أن خاطب قضاة سائر الحواضر الأندلسية ، فاستقلوا ببلادهم واعترفوا ببيعته ، ثم جرت بينه وبين ابن غانية عدة معارك ، كان النصر فيها للأمير المرابطي ، وفي ظل هذا الموقف المخرج نصحه أحد المقربين له بالإستجداد بالموحدين الذين قَدِّموا له وعودا مغرية<sup>(1)</sup> ، لكن تأخر هذا الدعم جعله يعجل بالتحالف مع النصارى ضد المرابطين ، الذين كانوا قد إفتكوا منه المدينة ، غير أن هذا التحالف لم يدم طويلا ، وآثر النصارى ابن غانية عليه ، نظرا لكونه يفيدهم أكثر ضد الموحدين ، فلم يبق أمام كبير ثوار الأندلس عدا اللجوء إلى قاضي مالقة<sup>(2)</sup> ، وهناك ظل يسعى إلى استعادة ملكه ، إلى أن وافته المنية في 19 رجب سنة 548هـ/1155م .

و تعتبر ثورة قرطبة من أهم الثورات ، و أشدها تأثيرا على الثورات الأخرى الموازية ، بالنظر إلى المكانة التي ظلت تحتلها قرطبة إلى ذلك الحين كعاصمة إدارية ، حيث حظيت ثورة ابن حمدين عند إنطلاقها بولاء أكثر القضاة ، حتى قيل أنه دعي له في أكثر منابر البلاد الأندلسية ، فقد أرسل قاضي مرسية إلى ابن حمدين مشيحا له ، و تبعهم كل من قاضي غرناطة و جيان و بلنسية . إلا أن هذا الإلتفاف حول ثورة قرطبة لم يستمر طويلا ، حيث لم يتمكن ابن حمدين من الصمود في وجه قوتين كبيرتين ، تمثلتا في جيش ابن غانية " عميد العصابة اللمتونية " ، وابن هود " سليل ملوك الثغر الأعلى"<sup>(3)</sup> . فقد فرضت تداعيات الأحداث على كل واحد من القضاة التصرف وفق ما تمليه عليه مصلحته الخاصة .

(1) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج20 ، المصدر السابق ، ص : 243.

(2) مالقة: مدينة بالأندلس عامرة بكثافة سكانية كبيرة ، و يمتد سورها إلى شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء و ألمرية .

ينظر: الحموي: المصدر السابق ، ج5 ، ص: 43.

(3) تقع منطقة الثغر الأعلى شمال شرق الأندلس ، و من أهم أعمالها سرقسطة وتبليسة ووشقة . ينظر: ابن الأبار :

المصدر السابق ، ج2 ، ص- ص: 245-253..

كما ظهر قاضي بلنسية أبو عبد الملك بن عبد العزيز<sup>(1)</sup> هذا الأخير الذي حكم المدينة بعد أن طرد واليها المرابطي عبد الله بن غانية ، وهو ابن أخي يحيى بن غانية ، حيث إفتك منه بلنسية وماجاورها وبهذا أصبحت تحت طاعته ، إلا أن العجز المالي أدى إلى زيادة في جباية الضرائب ، لكنها لم تنجح وأصبحت الخزينة عاجزة عن تلبية حاجيات الإمارة ، فثار عليه الجند و فر من المدينة في 25 من جمادى الأولى سنة 540هـ / 1145م<sup>(2)</sup> ، لكن لسوء حظه أوقعه في يد محمد بن ميمون – قائد الأسطول المرابطي في الناحية الشرقية ، فحمله إلى عدوه ابن غانية ، فسجنه ما لا يقل على 10 سنين<sup>(3)</sup> . أما عن القاضي الثاني فكان بشرق الأندلس ، حيث حاضرة مرسية ، وهو أبو جعفر بن أبي جعفر<sup>(4)</sup> ، الذي كان مواليا لابن حمدين ، فتمرد عليه ودعا لنفسه ، ثم عمل على توسيع نفوذه ، فإستطاع أن يسيطر على أوريولة<sup>(5)</sup> من حاميتها المرابطية ، ثم توجه جنوبا على رأس قواته التي كانت تبلغ حوالي ألفي فارس ، فيهم أعلام فقهاء الشرق وكتابهم وشعرائهم ، حيث إتجه نحو غرناطة ملبيا نداء قاضيها ، الذي أرسل يستنجد به ضد المرابطين ، إلا أن هؤلاء تمكنوا من القضاء عليه خارج أسوار المدينة ، و ذلك في ربيع الأول سنة 540هـ / 1145م<sup>(6)</sup> .

وفي غرناطة عجز القاضي أبو الحسين بن أضحى<sup>(7)</sup> ، عن مدافعة الحامية المرابطية الممتنعة بقصب المدينة ، حيث أرسل هذا الأخير إلى زملاءه ، يستنجد بهم لكن دون جدوى ، ما عدا قاضي مرسية الذي قام بتلبية النداء<sup>(8)</sup> ، وهذا ما جعل أهل غرناطة يسنّدون أمرهم

(1) هو مروان بن عبد الله بن مروان التجيبي ، من أهل بلنسية، تولى قضاء بلنسية في عام 538هـ/1143 في ظروف حرجة . توفي 578هـ/1182م. ينظر: ابن الأبار : المصدر السابق ، ج2، ص-ص: 218-226.

(2) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم الثاني ، المصدر السابق ، ص: 256.

(3) ابن الأبار : المصدر السابق ، ج2 ، ص-ص : 221-225.

(4) هو محمد بن عبد الله بن محمد الخشني: من أهل مرسية و وجهائها ، كان فقيها حافظا ، تولى القضاء بمرسية عند قيامها على يد المرابطين، ثم تنكر لها سنة 539هـ/1145م . ينظر : ابن الأبار : المصدر السابق ، ج2، ص: 247.

(5) مدينة قديمة لها قسبة منبوعة ، كانت قاعدة كورة تدمير قبل أن تختط مدينة مرسية . ينظر: الحميري: المصدر السابق ، ص : 67.

(6) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم الثاني ، المصدر السابق ، ص : 258.

(7) هو علي بن عمر بن محمد الهمداني: من أهل غرناطة ، كان فقيها حافظا ، و صارت إليه رئاسة غرناطة وتديير أمرها سنة 539هـ/1144م، توفي في نفس سنة . ينظر: ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ، تح : محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ج4 ، 1978م ، ص-ص: 83-86.

(8) ابن الأبار : المصدر السابق ، ج2، ص: 213.

أمرهم إلى رئيس كبير يولونه على أنفسهم ، فوقع إختيارهم على ابن هود وفأرسلوا إليه يستدعونه ، إلا أن هذا الأخير خسر ضد الحماية المرابطية .

وغير بعيد عن غرناطة كان قاضي مالقة أبو الحكم بن حسون<sup>(1)</sup> ، يواجه مشكلة تسيير مدينته التي إستقلت بحكمها ضد غارت المرابطين ، حيث لجأ هذا الأخير إلى الإستجداد بالنصارى ، مقابل أموال بذلها لهم ، فأتار هذا السلوك سخط أهل المدينة و قاموا عليه وحاصروه في قصره ، فلما يئس من النجاة وضع حدا لحياته ، و ذلك يوم الحادي عشر ربيع الأول سنة 548هـ / 1153م<sup>(2)</sup> .

أما القاضي جيان<sup>(3)</sup>أبا الحكم بن جزى<sup>(4)</sup> ، فقد إنتزعت منه على يد ابن هود قبل أن تقع بيد بيد الموحدين .

فبعد إستعراضنا لأهم محطات ثورات الفقهاء ، نستنتج أنها لم تكن بمعزل عن الصراع المرابطي الموحدى ، إلا أن موقف هؤلاء لا يعكس موقف كل الفقهاء الأندلسيين من الحركة الموحدية . وذلك أنه في السنوات الأولى لعبور الموحدين الأندلس ، أبدى سكان بعض المدن الأندلسية الأمتناع عن الدخول في هذه الصراعات ، بل أن الأكثر من ذلك هو أنهم كانوا على إستعداد للدفاع ، من خلال إظهار أسلحتهم ، إلا أن تلك المحاولة لم تكن بحجم تلك المقاومة التي شهدها الموحدون بالمغرب<sup>(5)</sup> . فلقد نزل كثير من ثوار غرب الأندلس عن المدن والحصون التي حازوها ، و دخلها الموحدون على وجه الصلح ، أما المدينة الوحيدة التي إقتحمها الموحدون عند عبورهم إلى الجزيرة فهي إشبيلية<sup>(6)</sup> .

و إن ما يلفت النظر في هذه الأحداث المتشابهة هو تلك الظاهرة ، التي تتمثل في أن قادة الثورات ضد المرابطين لم يكونوا من الولاة أو قادة الجند ، بل كان جلهم من القضاة و الفقهاء . ويبدو أن سبب ذلك يرجع إلى المكانة التي تمتع بها هؤلاء في ظل الحكم

(1) هو الحسين بن عبد الله الكلبى ، من أهل مالقة ، كان فقيها ، وتولى قضاء مالقة في عام 538هـ/1143 م ، ثم صارت له رياستها . ينظر: ابن الأبار : نفس المصدر ، ج2 ، ص: 276.

(2) الحميري : المصدر السابق ، ص: 518.

(3) جيان: مدينة واسعة الرقعة بالأندلس ، وتتصل بكوة البيرة بناحية الجوف في شرقي قرطبة . بينها وبين قرطبة سبعة عشرة فرسخا . ينظر: الحموي: نفس المصدر ، ج2، ص: 195 .

(4) هو يوسف بن عبد الرحمان بن جزى المتوفى 589هـ/1193 م ، و يصفه ابن الخطيب برأس الفتنة في جيان . وهو المدعو بالرئيس أبي الحكم . ينظر: ابن الخطيب: أعمال الأعلام ، القسم الثاني ، المصدر السابق ، ص: 259 .

(5) ليفي بروفنسال : مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية ، الرباط ، المطبعة الإقتصادية ، 1941م ، ص: 11.

(6) ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص- ص : 34-41 .

المرابطي ، حتى تركزت الزعامة المحلية ، فلما أحسّ هؤلاء القضاة بانتهاء حكم المرابطين ، الذي نعموا في ظله بالنفوذ والسلطان ، طمعوا في الحكم والحلول محلهم في حكم المغرب الإسلامي . فحاولوا إشعال الثورات المحلية في المدن التي عرفت نشاطهم وتولوا زعامتها ، لكي يحتفظوا بسابق سيادتهم وليستردوا سلطانهم المحلي<sup>(1)</sup> .

كما نلاحظ أيضا أن معظم هؤلاء القضاة هم من البيوتات الكبيرة ، التي يتولى عدد كبير من أفرادها منصب القضاء ، فكان أشبه بالمنصب الوراثي في الأسرة ، ولما ضم المرابطون الأندلس توثقت عرى التواصل بين القضاة والمرابطين . فما أن تولى أحدهم قضاء مّوضع حتى أصبح له الأموال الكثيرة<sup>(2)</sup> ، ولم يكن غريبا أن يسيطر الفقهاء على بعض المناطق التي ظهرت عقب إنحلال دولة المرابطين ، وربما تفسر هذه الظاهرة في أن الناس لم يشغلهم في ذلك الوقت إلا ما يقتاتون به ، والعدو الصلبي متربص بالأندلس كلها ، وكان هؤلاء الفقهاء ملاك أقدر على تأمين العيش للناس ، وهو ما يكون باعثا على سيطرة الفقهاء الدينية والإقتصادية والسياسية .

وقد اعتمد هؤلاء الثوار على أقاربهم أو على أنفسهم في تسيير شؤون الحكم ، أو على من يثقون فيه ، وهذا ما يدل على أنهم لم يكونوا معتمدين على أسس قوية من الشرعية ، وربما إلى عدم ثقتهم في التعاون مع أقرانهم من القضاة والفقهاء<sup>(3)</sup> .

(1) عصمت عبد اللطيف دندش : المرجع السابق ، ص : 95 .

(2) عز الدين موسى : النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي، القاهرة، دار الشروق، 1983، ص-ص: 152-153.

(3) لخضر محمد بولطيف : فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي ، المعهد العالمي للفكر

الإسلامي ، فرجينيا ، الولايات المتحدة الأمريكية ، 2009م ، ط1 ، ص: 158.



### المطلب الثالث: ازدياد هجمات النصارى على الأندلس وسقوط بعض المدن:

لقد تسبب الصراع المرابطي الموحدى بالعدوة المغربية في حدوث الفجوة الكبيرة بالعدوة الأندلسية ، حيث بدأ الإضطراب السياسي والعسكري واضحا ، وهو ما نبه ممالك النصارى إلى ضرورة نسيان خلافاتها ، وتوحيد جهودها في سبيل إستغلال هذا الظرف لقيادة حركة الإسترداد التي ظلت تراود أحلامهم منذ زمن بعيد ، حيث بادر الفونس هنريكيز<sup>(1)</sup> ، بشن حملة عسكرية على مدينة شنتمرين القريبة ، بالتعاون مع جماعة الفرسان الدينية(الداوية)، وتمكن من الإستيلاء عليها في 5 شوال 541هـ/15 مارس 1147م ، وهو نفس التاريخ الذي فتح فيه الموحدون العاصمة المرابطية مراكش<sup>(2)</sup>.

وهذا ما مهد له السبيل لتنفيذ هجوم آخر على أشبونة<sup>(3)</sup> ، حيث دعم قواته في ذلك بالأسطول الصليبي الذي كان يسير في مسلكه إلى بيت المقدس ، فتم حصار المدينة لمدة 4 أشهر، ثم دخلوها عنوة وسيطروا عليها في جمادى الأولى 542هـ / أكتوبر 1147م<sup>(4)</sup> ، وقد كان لسقوط أشبونة في يد النصارى وقع كبير على بلاد الأندلس ، حيث أن البرتغاليين الذين كانوا مشاركين في الأسطول قد تمكنوا بذلك من إمتلاك مفتاح نهر التاجة<sup>(5)</sup> ، كما عزم القيصر الإسباني على توحيد مملكتي نافارا وأراجون، وعمل على تكثيف جهود برشلونة ومونبوليه لبلوغ الدور النهائي مع مسلمي الأندلس .

فأرسل إلى أميرهما يطلب منهما المشاركة في الحرب ضد المرية ، ثم أرسل إلى أمير جنوة وبيزا يطلب منهما الدعم بالأسطول الحربي ، وبعدها حدد خطة الهجوم ، وقرروا تنفيذها في ربيع الأول 542هـ / أغسطس 1147م<sup>(6)</sup> ، ولما كان ابن مردنيش

(1) الفونسو هنريكيز: تسميه بعض المصادر بابن الريف ، وهو صاحب قلمرية عاصمة البرتغال آنذاك . ينظر: عبد الواحد مراكشي: المصدر السابق ، ص : 382.

(2) محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ج2، ص : 24.

(3) أشبونة : هي مدينة بالأندلس يقال لها لشبونة أيضا ، وهي متصلة بشنتمرين القريبة من البحر المحيط. ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج1، ص : 195.

(4) أحمد توفيق الطيبي : دراسات و بحوث في تاريخ المغرب والأندلس، طرابلس ، الدار العربية للكتاب ، ط1 ، 1984 م ، ص : 24 .

(5) معمر الهادي ومحمد القرطوبي: المرجع السابق ، ص: 85.

(6) يوسف أشياخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين ، تر : محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط2، ج1، 1996، ص : 244

منشغلا بحرب الموحدين ، فإنه لم يستطع أن يتفرغ لهم ويصددهم عن الهجوم . فحاصروا المدينة برا وبحرا<sup>(1)</sup>، وظلت المدينة صامدة لمدة 3 أشهر إلى ان استسلم أهلها في ربيع الثاني 542هـ/ أغسطس 1147م ، فدخلها النصارى واستولوا عليها ، وتم قتل الكثير من سكان المرية ، وأسر منهم حوالي 14 ألف من الرجال والنساء<sup>(2)</sup> ، وبعدها توجه الحلف الصليبي صوب طرطوشة لفتحها ، فصمدت في وجوههم مدة طويلة ، ولكنها أذعن في آخر المطاف ، ودخلها الإسبان في 543هـ/1148م<sup>(3)</sup> ، وبعد ذلك قامت الجيوش النصرانية التي كانت تحت قيادة حاكم برشلونة الكونت رامون برنجير ، بالإغارة على مدينة لاردة<sup>(4)</sup>، لاردة<sup>(4)</sup>، وتمكنوا من دخولها في ربيع الثاني 541هـ ثم تلاها سقوط إقليش<sup>(5)</sup>

ومكانسة وإفراغة<sup>(6)</sup> في نفس السنة تقريبا . (ينظر الملحق رقم 09).

ولعل ذلك يعود إلى غياب دور ابن مردنيش الذي كان متمكزا في الجهة الشرقية ، حيث أنه لم يحرك ساكنا إزاء ما يحدث بحكم المعاهدات والإتفاقيات التي كانت تجمعها مع الممالك النصرانية<sup>(7)</sup>. ومما نجد الإشارة إليه هو أنه بعد إستيلاء الأمر لعبد المؤمن في المغرب وإستيلائه على العاصمة المرابطية مراكش عمل على تنفيذ وعده للأندلسيين الذين جاؤوه من قبل يبايعونه ويستنجدونه ، مع العلم أن فكرة جوازه للأندلس كانت منذ البداية في مخططه الهادف إلى تحقيق السيادة الموحدية على بلاد الأندلس<sup>(8)</sup> ، كما أنه نتيجة لإنشغال عبد المؤمن في الأندلس بالقضاء على ما تبقى من سلطان المرابطين عليها ، شجع هذا بعض الممالك النصرانية لإستغلال الوضع والقيام بغارات على قرطبة ، حيث أن الحامية النصرانية التي كانت متمركزة عند حصن أندوجر قد تمكنت من إحتلالها بسهولة في ظل

(1) عبد الواحد مراكشي: المصدر السابق ، ص : 211.

(2) معمر الهادي ومحمد القرظوي: المرجع السابق ، ص : 83

(3) داود عمر سلامة عبيدات: المرجع السابق، ص : 88.

(4) لاردة : هي مدينة مشهورة بالأندلس في الجهة الشمالية الشرقية قرب طركونة . ينظر: الحموي : المصدر السابق،

ج2، ص : 33 .

(5) إقليش : مدينة بالأندلس من أعمال شنب البرية . ينظر : الحموي : المصدر السابق ، ج1، ص : 237 .

(6) إفراغة: هي مدينة بالأندلس ، تقع أراضيها بالقرب من لاردة . ينظر: الحموي : المصدر السابق ، ج1، ص : 227 .

(7) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج2 ، المصدر السابق ، ص: 126.

(8) معمر الهادي ومحمد القرظوي: المرجع السابق ، ص : 90.

الإتفاق الذي جرى بين ألفونس ريمونديس وإبن غانية المرابطي ، بتنازل هذا الأخير عن وبذة<sup>(1)</sup> وبياسة<sup>(2)</sup> وجيان ، نظير إستمرار التحالف بينهما ، و كان دخول النصارى إلى قرطبة في رجب 543هـ / 1148م<sup>(3)</sup> ، وهو ما يعني أن المهمة قد أصبحت صعبة بالنسبة للموحدين في الأندلس ، إلا أن عبد المؤمن تمكن من استرجاع قرطبة في ظرف وجيز ، بعد أن جهز لذلك قوات من شلب ولبلة<sup>(4)</sup> وأفريقية<sup>(5)</sup> ، ولما إقتربت هذه الجيوش من قرطبة أدرك الفونس ريمونديس أنه لا طاقة له بمواجهته فتراجع عنها بعسكره ، واستولى عليها الموحدون في شعبان 543هـ / يونيو 1148م، وبعدها عرج جيش آخر نحو جيان ، فتمكن من فتحها بعد اشهر من حصارها<sup>(6)</sup>، وفي عام 545هـ/1150م ، بادر القيصر الفونس إلى عقد تحالف مع ملك نافارا ، وعزم على احتلال قرطبة من جديد ، إلا أنه فشل في ذلك نظرا للمقاومة الشديدة التي أبداهها الموحدون ، وكذا الحصانة التي كان تتمتع بها المدينة<sup>(7)</sup> ، كما عازمت جيوش عبد المؤمن في المقابل على إستعادة المرية في عام 546هـ/1151م ، إلا أنها أخفقت بسبب نفاذ الذخيرة وحصانة المدينة بالقوات النصرانية<sup>(8)</sup> ، وبعد سيطرة عبد المؤمن على غرناطة آخر معاقل المرابطين في عام 551هـ / 1156م<sup>(9)</sup> ، و 1156م<sup>(9)</sup> ، قرر التفكير مجددا في استعادة مدينة المرية التي طال احتلالها حوالي 9 سنوات ، لأن طبيعة موقعها يشكل خطرا على البحرية الموحدية إذا استمر احتلالها من طرف النصارى ، حيث أنها تمثل حلقة وصل بين شرق البلاد وغربها ، وهو ما يعني أن

(1) وبذة : حصن قديم يوجد في مقاطعة قونقة ، وقد استولى عليه النصارى سنة 472هـ / 1080م ، على يد ألفونس السادس . ينظر: إبن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص : 487.  
(2) بياسة : تقع شرق قرطبة وكان لها شأن أيام العرب ، فخر بها الإسبان بعد احتلالها سنة 676هـ / 1277م . ينظر: عبد الرحمان بن خلدون : العبر ، ج6 ، المصدر السابق ، ص : 314..  
(3) عبد الرحمان بن خلدون : نفس المصدر : ج6 ، ص : 315.  
(4) لبلة : تقع في غرب إشبيلية ، وهي موطن العائلة الفاسية ، ومنها نزحوا إلى مالقة ثم إشبيلية ثم إلى فاس . ينظر: عبد الرحمان بن خلدون : نفس المصدر، ج6 ، ص : 315.  
(5) إفريقية: وهو اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية ، ينتهي آخرها على قبالة جزيرة الأندلس . و سميت إفريقية نسبة إلى إفريقيس بن أبرهة بن الرائش . ينظر: الحموي : المصدر السابق ، ج1، ص : 228.  
(6) معمر الهادي ومحمد القرقوطي: المرجع السابق ، ص : 95.  
(7) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ص : 229.  
(8) السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص : 122.  
(9) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص : 196.

الممالك النصرانية كانت تدرك وتعي جيد الخطة التي تم رسمها في احتلال المواقع الإستراتيجية<sup>(1)</sup>.

فطلب عبد المؤمن من واليه على غرناطة بفرض حصار على مدينة المرية برا وبحرا، ودعمه بأسطول حربي أرساه عند مدينة سبتة<sup>(2)</sup>، وهو ما استدعى إلى إستتجاد الحامية النصرانية التي كانت داخل المرية بالفونسو السابع ، فجهز هذا الأخير جيشا قوامه 12 ألف مقاتل ، ودعمه ابن مردنيش ب 6 آلاف آخرين<sup>(3)</sup> . إلا أن القوات النصرانية فشلت فشلت في المحافظة على المدينة ، و فتحتها الجيوش الموحدية في شهر ذي الحجة 552هـ/1557م بعد 3 أشهر من الحصار<sup>(4)</sup> ، ولما دخلها الموحدون شاهدوا كيف تم تخريب المدينة و تغيير معالمها الإسلامية من طرف النصارى ، حيث يصفها الإدريسي بذلك في قوله : " المرية في هذا الوقت الذي ألفنا فيه كتابنا هذا صارت فيه ملكا بأيدي الروم ، وقد غيروا محاسنها وسبوا أهلها وخربوا ديارها وهدموا مشيد بنيانها ..."<sup>(5)</sup>.

ومع كل هذه الأحداث لم يتوقف المشروع الصليبي عن المضي قدما نحو تحقيق هدفه ، حيث عمل ملك البرتغال على غزو مدينة أشبونة ، واستغل في ذلك فرصة حركة الأسطول الأوروبي المتجه نحو المشرق ، فقام بطلب الإعانة من الأسطول في مهاجمة المدينة ، بيد أن هذه الغارة لم تحقق المراد في السيطرة على أشبونة ، بحكم حصانتها وصمود أهلها<sup>(6)</sup> ، وفي ظل هذه الأثناء كان عبد المؤمن بن علي يعد الترتيبات من مراكش مراكش لجواز الأندلس ودحر النصارى عنها ، حيث قام بإنشاء أسطول حربي يتألف من 400 قطعة ، و جهز الجنود بمختلف الأسلحة والتموينات<sup>(7)</sup> ، وبعدها عمل على تقسيم الجيش إلى 4 فيالق ، وكل فيلق يختار ثغرا يسير نحوه .

(1) معمر الهادي ومحمد القرقوطي: المرجع السابق ، ص : 101.

(2) محمد عبد الله عنان: المرجع السابق ، ج1، ص : 346.

(3) ابن الأثير: المصدر السابق، ج11، ص : 156.

(4) معمر الهادي ومحمد القرقوطي: المرجع السابق ، ص : 102.

(5) الإدريسي: المصدر السابق، ج2، ص : 563.

(6) معمر الهادي ومحمد القرقوطي: المرجع السابق ، ص : 83.

(7) بن أبي زرع: المصدر السابق ، ص : 201.

ثم خرجت الجيوش من مراكش ، ونزلت بجبل الفتح في ذي الحجة 555هـ/ 1160م ، بيد أن هذه الحملة لم تتم ، نظرا لوفاة عبد المؤمن في جمادي الثانية 558هـ/أيار1163م ، كما يعتبر السبب المباشر الفعلي في تأجيل هذا التحرك نحو الثغور ، هو أنه حدث عدم توافق على خلافة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن<sup>(1)</sup> ، وهنا وجدت الممالك النصرانية الستة - قشتالة ، أراغون ، قلمرية ، ليون ، البرتغال- فرصة أخرى سانحة لتنفيذ غارات على الأندلس<sup>(2)</sup> .

ولم تكن الجبهة الأندلسية الغربية أوفر أمنا واستقرارا ، فهي الأخرى قد طالتها سلسلة الغارات الصليبية . حيث عزم جيرالدو سمبافور، الذي كان حليفا لملك البرتغال الفونسو هنريكيز بغزو كل من ترجاله<sup>(3)</sup> ويابرة<sup>(4)</sup> ، واستولى عليها في عام 560هـ/1165م ، كما تمكن من السيطرة على مدن قاصرش وجمانة وحصني شربة ومتجانش في صفر 561هـ / ديسمبر 1166م<sup>(5)</sup> ، وهو ما كان مقدمة لغزو بطليوس ، هذه الأخيرة التي تم احتلالها من طرف البرتغاليين في رجب 564هـ/أفريل1169م<sup>(6)</sup> .

(1) داود عمر سلامة عبيدات: المرجع السابق ، ص- ص : 91-92.

(2) عبد الله عنان: المرجع السابق، ج1، ص : 24.

(3) ترجاله : مدينة بالأندلس ، تقع غرب طليطلة في الشمال الشرقي من بطليوس . ينظر: الحميري : المصدر السابق ، ص : 133.

(4) يابرة : بلدة في غربي الأندلس ، ينسب إليها أبو بكر عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله اليابري الأندلسي . ينظر: الحموي : المصدر السابق ، ج5 ، ص : 424.

(5) معمر الهادي ومحمد القرطوبي: المرجع نفسه ، ص : 143.

(6) السلاوي : المصدر السابق ، ج2، ص : 148 .

## المبحث الثاني : ظهور القوى المناوئة للموحدين

### المطلب الأول : ثورة ابن هود الماسي وقاضي سبتة :

دانت المغرب لعبد المؤمن بن علي مع بعض المقاطعات الأندلسية بعد فتح مراكش ، وعندها أخذ يعد العدة لفتح المغرب الأدنى وبقية المناطق الأندلسية ، وفجأة اندلعت ثورة كادت أن تقضي على دولة الموحدين في مهدها (1) ، حيث قاد هذه الثورة شخص من أهل السوس من منطقة سلا ، يدعى محمد بن عبد الله بن هود (2) ، وتسمى بالهادي وادعى المهديوية إقتداءً بابن تومرت (3) ، مع أن الرجل لم يكن له أفكار مذهبية جديدة ، بل أنه اكتفى بالتمسك بالمبادئ التي وضعها ابن تومرت ، و إتهم عبد المؤمن بالخروج عنها (4) .

وفي نجاح دعوة الماسي يقول ابن عذارى : " أقبل الناس المغتربون به من كل مكان وقبيل إليه .... وأنهم إجتمعوا بشقوتهم عليه إجتماعاً طار له الذكر في الأفق وتحدثت به الرفاق وكثروا عنه إستندوا له فقامت بدعوته جموع لا تحصى " (5) . فأرسل إليه عبد المؤمن جيشاً بقيادة أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي ، و ذلك سنة 542هـ / 1148م ، فهزمهم و بدّد شملهم ثم مضى إلى جزولة ، حيث هزم الماسي وقتله ، وساقه على بغل ثم صلب في العاصمة مراكش ليكون عبرة لغيره (6) .

كما تمردت سبتة بقيادة القاضي عياض (7) ، الذي وضع يده بيد برغواطة ، وشجعها وشجعها على الثورة في سنة 542 هـ / 1147م (8) ، وذلك بعد أن أعطى الطاعة لعبد المؤمن بن علي ، ثم خرج عليه وحرص أهل بلده على الثورة ، وأفتى أتباعه قائلاً : " بايعتم مكرهين ، وليس على مكره بيعة " (9) .

(1) داود عمر سلامة عبيدات : المرجع السابق، ص: 87.

(2) هو محمد بن عبد الله بن هود المكنى بالماسي : حيث قام بثورة من سلا ضد الحكم المرابطين ، وسمى نفسه بالهادي ، وكان له صدى كبير في بلاد المغرب الأقصى. ينظر: البيدق: أخبار المهدي بن تومرت ، المصدر السابق، ص : 96.

(3) معمر الهادي ومحمد القرقوطي: جهاد الموحدين في بلاد الأندلس، الجزائر، دار هومة، 2005م ، ص: 94.

(4) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق، ج5، ص: 346.

(5) البيدق: أخبار المهدي بن تومرت ، المصدر السابق ، ص: 96.

(6) ابن عذارى : المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص- ص: 34-41.

(7) القاضي عياض بن موسى اليحصبي : أصله من مدينة بسطة ، إنتقل أجداده منها إلى إشبيلية ثم إلى فاس ، ومنها إلى سبتة التي ولد بها سنة 476هـ / 1083م . حيث تولى القضاء بغرناطة . ينظر: عبد الرحمان بن خلدون: كتاب العبر، ج 6 ، المصدر السابق ، ص: 276.

(8) ابن أبي زرع الفاسي : المصدر السابق، ص: 191.

(9) عبد الرحمان بن خلدون : كتاب العبر، ج6، المصدر السابق ، ص: 277.

ويبدو أن شخصية الرجل تتسم بطابع الشدة ، كونه إقتنع بأمر نهض لإعلانه صراحة ، فهو لا يعرف أسلوب المهادنة ، حيث وضع القاضي عياض يده بيد برغواطة وتعاهدوا على الثورة ضد الموحدين ، حتى نشرت الثورة إلى جبال درن وأهل نفيس<sup>(1)</sup> و هيلانة ، وأعلنت كل من هسكورة<sup>(2)</sup> وسجلماسة<sup>(3)</sup> عصيانها<sup>(4)</sup> . وقد إستعد عبد المؤمن لإحتواء هذه الأزمة ، حتى لا يعطي لهذه الثورات الفرصة كي تقوى ، فسير لها جيوشا بقيادة رجاله المخلصين، فتمكن من القضاء عليهم وإستسلموا وأتوه طائعين معلنين الولاء سنة 543هـ/ 1148م وحمل القاضي عياض منفيا إلى مراكش ومات هناك سنة 544هـ/ 1149م<sup>(5)</sup> .

### المطلب الثاني : ثورة ابن مردنيش وابن همشك :

(1) أهل نفيس من سكان جبال درن ، وهي بطن من بطون قبائل المصامدة . ينظر: عبد الرحمان بن خلدون : نفس

المصدر ، ج6، ص: 299 .

(2) هيلانة: بطن من بطون المصامدة من البربر البرانس من ولد أيلان بن مصمود . ينظر: البيدق: الأنساب في معرفة

الأصحاب ، المصدر السابق ، ص: 46.

(3) سجلماسة: مدينة في صحراء المغرب على نهر زيز ، تزرع الدخن والذرة والنخيل ، و يسكنها قوم من مسوفة. ينظر:

ينظر: الحميري: المصدر السابق، ص- ص: 305-307.

(4) البيدق: أخبار المهدي بن تومرت ، المصدر السابق ، ص: 106.

(5) معمر الهادي ومحمد القرقوطي: المرجع السابق، ص: 95

في سنة 542هـ / 1147م ثار أهل مرسية (1) ، بزعامة ابن جميل (2) على واليهم عبد الرحمان بن عياض (3) الذي خرج إليهم ، ولكنهم تمكنوا منه وقتلوه في نفس السنة (4) . ثم تولى الإمارة بعده صهره محمد بن سعد بن مردنيش (5) ، هذا الأخير فضم بلنسية إليه في جمادى الأولى 542هـ / 1147م (6) ، كما عمل في المقابل منذ 543هـ / 1149م على إقامة صلوات وطيدة مع ملوك النصارى في الشمال (7) .

حيث تطورت العلاقات تخللها بعض الإتفاقيات والتبادلات للهدايا ، وهو ما جعل البابا يلقبه بالملك لوبو (الذئب) ، كما لقبه كذلك بصاحب الذكر الحميد (8) ، وقد تعهد هذا الأخير بدفع 50 ألف مثقال من الذهب سنويا لكل من ملك قشتالة (9) وملك أراغون ، نظير تحالفهما معه ضد الوافدين الجدد (10) ، كما وطد ابن مردنيش علاقته مع إبراهيم بن محمد بن فرج بن همشك وهو من أصل مسيحي ، فراح جده مفرج بن همشك (11) بن فرج إلى سرقسطة ، وأعلن أسلامه هناك أمام أحد الملوك بني هود (12) ، و قام بالإستيلاء على حصن سقوبش وسقورة (13) ، وفي عام 547هـ / 1153م سعى ابن مردنيش إلى التوسع في أراضي الأندلس ، حيث ضم خلال هذا العام كل من سبطة و وادي آش (14) ، ولما علم عبد المؤمن بالأمر بعث له برسالة في 16 جمادى 548هـ / 1154م ، يطالب فيها بالتوقف عن

- (1) مرسية: مدينة بالأندلس من أعمال تدمير إختطها عبد الرحمان ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمان بن معاوية ، وبها أشجار وحدائق. ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج5، ص : 107..
- (2) الأمير شكيب أرسلان: المرجع السابق، ج3، ص- ص : 427-432.
- (3) محمد بن سعد بن مردنيش : هو تائر بالأندلس ضد الدولة المرابطية ، وقد منحه البابا لقب صاحب الذكر الحميد ، وهو من أصل إسباني . توفي سنة 565هـ / 1170م . ينظر: البيدق: أخبار المهدي بن تومرت ، المصدر السابق ، ص : 80.
- (4) عبد الواحد طه ذنون وآخرون: المرجع السابق، ص : 160 .
- (5) معمر الهادي محمد القرقوطي: المرجع السابق، ص : 103.
- (6) داود عمر سلامة عبيدات : المرجع السابق، ص : 68.
- (7) قشتالة: هي إقليم عظيم بالأندلس ، قصبته اليوم طليطلة وجميعه اليوم بيد الإفرنج . ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج4، ص : 352.
- (8) داود عمر سلامة عبيدات : المرجع السابق، ص : 69.
- (9) إبراهيم بن محمد بن فرج بن همشك: إسباني الأصل . إنظم إلى المرابطين ، توفي بمكناس سنة 571هـ / 1175م . ينظر: البيدق: أخبار المهدي بن تومرت ، المصدر السابق ، ص : 80 .
- (10) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم الثاني ، المصدر السابق ، ص : 263.
- (11) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج1 ، المصدر السابق ، ص : 297.
- (12) وادي آش : مدينة قرب البيرة ، تعرف بوادي آش وتقع بين غرناطة و بجانة . تتحدر إليها أنهار من جبال الثلج . ينظر: الحموي : المصدر السابق ، ج5، ص : 43.
- (13) ليفي برفنسال: رسائل موحديّة ، المرجع السابق ، ص : 36.
- (14) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص : 116.

الزحف والدخول تحت القيادة الموحدية ، بيد أن ابن مردنيش لم يلق بالآلام مثل هذه التعليمات . ولعل ما يثبت لنا ذلك هو أنه استغل خروج عبد المؤمن بن علي للسيطرة على المهديّة في صفر 554هـ / 1159م ، وعزم على التوجه إلى جيان بغرض إخضاعها ، فحاصرها لبضعة أيام ، إلى أن اضطروا واليها محمد بن علي الكومي إلى تسليمها لابن مردنيش دون مقاومة .

وبعدها توجه هذا الأخير صوب قرطبة وفرض عليها حصارا خانقا ، إلا أن أهلها صمدوا في وجهه ، واضطروا للتراجع . وفي سنة 554هـ / 1159م قصد أشبيلية ، وضرب عليها حصارا لمدة 3 أيام ، إلا أنه عجز في إقحامها ، فعاد إلى مركزه بمرسیه بخفي حنين .

وفي عام 555هـ / 1160م أعاد ابن مردنيش الكرة من جديد لاحتلال قرطبة ، وجهز جيشا بقيادة إبراهيم بن همشك<sup>(1)</sup> ، فواجهه والي قرطبة بعدد من أفراد جيشه واشتبك واشتبك الجيشان فانهمز الجيش القرطبي وقتل قائده<sup>(2)</sup> ، وبعد ذلك عرج ابن همشك نحو مدينة قرمونة ، واستولى عليها بمساعدة أحد أعيانها عام 555هـ / 1660م ، ثم عزم ابن همشك مرة أخرى على إخضاع إشبيلية فحاصرها مدة طويلة ، حتى نفذت مؤونتها ومقوماتها الإقتصادية والعسكرية ، فأرسل الوالي أبو يعقوب يوسف رسالة إستنجد إلى والده<sup>(3)</sup> ، حيث ورد في نص ارسالة قوله : >> العدو يلج بالفتنة والضرر ، ويستعين بإخوانه النصارى وبالمنافقين أصحابه .... وأشبيلية في مثل الحلقة من الفتن ، قد نهل بالغصص ساكنها وذهل خوفا من القنص متحركها وساكنها<sup>(4)</sup> ، فبعث له الخليفة رسالة يعده فيها بالجواز نحو الأندلس ، فخرج عبد المؤمن ونزل بجبل طارق<sup>(5)</sup> ، وأوصى والي تلك المنطقة بإنشاء سور حول المدينة فيجعلها حصينة في وجه الأعداء<sup>(6)</sup> ، ولكن لما سمع ابن همشك بقدوم الجيش الموحي يقوده عبد المؤمن تولى إلى مركزه بالشرق . وقد أرسل

(1) معمر الهادي ومحمد القرطوبي: المرجع السابق ، ص : 105.

(2) عبد الرحمان بن خلدون : كتاب العبر، ج6، المصدر السابق ، ص – ص: 318- 319.

(3) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 129.

(4) جبل طارق: وهو جبل الفتح بالأندلس مقابل سبتة ، وسمي بجبل طارق نسبة إلى طارق بن زياد . ينظر: مؤلف

مجهول: ذكر بلاد الأندلس ، المصدر السابق ، ص : 98.

(5) داود عمر سلامة عبيدات : المرجع السابق، ص : 75.

(6) قرمونة : هي كورة بالأندلس يتصل عملها بأعمال إشبيلية غربي قرطبة وشرقي إشبيلية . وهي قديمة البنيان . ينظر:

الحموي: المصدر السابق، ج4 ، ص : 330 .

فيما بعد أبو يعقوب بن يوسف سرية عسكرية نحو مدينة قرمونة<sup>(1)</sup> بغرض استعادتها من ابن همشك ، فنزل قائد الحملة عند حصن بن سلام ، ثم باشر بحصار المدينة ، ولكن لم يدم هذا الحصار طويلا ، بحيث أن الجيش الموحيدي تمكن من استمالة أحد أعيان المدينة (8) و اتصلوا به في الخفاء ، وعرضوا عليه الأمان ومبلغا من المال شريطة أن يهيا لهم سبيلا يقتحمون عن طريقه المدينة ، فأدخلهم من ناحية برج قرن المعزة<sup>(2)</sup> ، وسيطروا على سكانها ، وتم القبض على قائدها في 10 محرم 557هـ / 26 يناير 1161م<sup>(3)</sup> ، إلا أن ذلك لم يثبط عزيمة ابن مردنيش عن مواصلة توسعته في الجهة الشرقية للأندلس .

فجهز جيشا آخر بقيادة ابن همشك وسيره نحو غرناطة<sup>(4)</sup> ، واستولى عليها بعد أن أن دعمه يهود المدينة بالتأييد والمعلومات . والجدير بالذكر أن هذه المساندة التي تلقاها ابن همشك هي راجعة إلى سياسة عبد المؤمن معهم ، حيث أنه خيرهم بين الإسلام ومغادرة الأراضي الموحدية ، فأسلموا على مضض<sup>(5)</sup> ، وبعد دخول ابن همشك إلى غرناطة في ظل غياب واليها الذي كان في مهمة بمراكش ، هرع الموحدون بداخلها و إلتجؤوا إلى القسبة الحمراء الواقعة قرب جبل سبكة الموازي لقصر غرناطة ليتحصنوا بها ، فعزم ابن همشك على تصفيتهم ، ولكن أستعصى عليه ذلك فطلب المدد من ابن مردنيش ، فأرسل له قوى من النصاري بقيادة الفاررودريكيث ، فتمكن من السيطرة على القسبة فيما بعد<sup>(6)</sup> .

ولما سمع الوالي أبو سعيد بالأمر عاد على عجل إلى غرناطة ، وطلب الدعم بالرجال والسلاح من والي إشبيلية ، فلتقى جيش ابن همشك مع جيش ابن سعيد عند >> مرج الرقاد<sup>(7)</sup> << ، إلا أنه تم هزيمة الموحدين في هذه المعركة<sup>(8)</sup> ، ولما علم عبد المؤمن المؤمن بهزيمة جيشه عند غرناطة عزم على الإنتقام ، فخرج إلى قوات ابن مردنيش على

(1) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق، ص : 129.

(2) برج قرن المعزة هويرج بقرمونة . ينظر: ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق، ص : 183.

(3) معمر الهادي ومحمد القرطوبي: المرجع السابق، ص : 105.

(4) غرناطة: معناها رمانة بلسان عجم الأندلس ، وهي أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس ، يشقها نهر معروف

بنهر قلزم قديما ويعرف الآن بنهر حدارة. ينظر: الحموي : المصدر السابق، ج4، ص : 195 .

(5) محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ج1، ص : 387 .

(6) داود عمر سلامة عبيدات : المرجع السابق، ص- ص: 77- 78 .

(7) مرج الرقاد : مكان قرب غرناطة على بعد 4 فراسخ من قرية الطرق في سفح جبل البيرة ، كما أنه يحاذي نهر شنل .

. ينظر: ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق، ص : 192.

(8) ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج3، ص : 33.

رأس جيش بلغ تعداد جنده 20 ألف جندي<sup>(1)</sup> ، ثم عبرت قواته نحو الجزيرة الخضراء ، و قام بتدعيم الجيش بسرية حربية من مالقة<sup>(2)</sup> ، إلا أن ابن مردنيش بالمقابل أعد العدة لهذا اللقاء ، وقام باستدعاء فرقة نصرانية بلغ تعداد فرسانها 8 آلاف فارس ، ثم وجهها إلى غرناطة لتدعيم قوات ابن همشك هناك، ولما التقى الجيشين عند عين المكان في 23 رجب 557 هـ / 1161م، أعطى القائد الموحي الأمر لجيشه بتنفيذ الهجوم بعد أن شخصهم معنويا بضمان الجنة.<sup>(3)</sup>

فاحتدمت المعركة ، وبعد قتال عنيف بين الطرفين دام خمسة أيام انهزمت قوات ابن مردنيش وقتل العديد من كبار الجيش ، وعلى رأسهم الأقرع النصراني " روديجيت" ، وفر ابن همشك مع من نجا من جنده إلى جيان ، و دخل الجيش الموحي إلى غرناطة في 28 رجب 577 هـ / 13 يوليو 1162م<sup>(4)</sup> ، والجدير بالذكر أنه بعد هذه المعركة قرر عبد المؤمن المؤمن تحويل مقر العدو الأندلسية إلى قرطبة بدل إشبيلية ، بحكم موقعها الوسطي الذي يسمح بإدارة الأمور في الأندلس بشكل أفضل<sup>(5)</sup> ، واستمرت ثورة ابن مردنيش وتوسعاته على حساب أراضي شرق الأندلس حتى بعد وفاة الخليفة عبد المؤمن في 588 هـ ، 1163م، حيث أن الخليفة الجديد يوسف أبو يعقوب أخذ على عاتقه مهمة القضاء على ابن مردنيش وحلفائه ، فقام بتكليف قائدي جيشي إشبيلية وقرطبة بتنفيذ هذه العملية ، فخرج الجيشان في شعبان 560 هـ / 1165م ، وإلتقوا بقوات بن مردنيش بالقرب من مشارف مرسية<sup>(6)</sup> ، حيث دارت هناك حرب طاحنة دامت شهر ذي القعدة بمنطقة لورقة ، وتم إضعاف جيش ابن مردنيش ، لكن ذلك لم يقنع الموحدين ، فقاموا بملاحقة فلول جيشه إلى حصن مرسية أين تحصن هناك مردنيش وأنصاره ، كما تم إرسال المزيد من قوات العرب الهلالية والرياحين ، لأجل تحقيق النصر الحاسم ، فحاصروهم هناك مدة طويلة إلى غاية

(1) داود عمر سلامة عبيدات : المرجع السابق ، ص : 78.

(2) معمر الهادي ومحمد القرقوطي: المرجع السابق ، ص - ص : 106-107.

(3) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص : 200.

(4) عبد الرحمان بن خلدون : كتاب العبر، ج6 ، ص : 263.

(5) معمر الهادي ومحمد القرقوطي : المرجع السابق ، ص : 107.

(6) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص : 110.

عيد الأضحى ، ولكن دون جدوى<sup>(1)</sup> . ومما يلاحظ خلال هذه الفترة هو أن قوة ابن مردنيش بدأت تضعف شيئاً فشيئاً ، حتى تقلصت عدته وتخلي عنه العديد من الأنصار المسلمين بدخولهم تحت طاعة الموحدين ، وبدأ النصارى كذلك يتملصون من مسانדתه ، نظراً لإنشغال قشتالة بالتنافس مع ليون<sup>(2)</sup> ، و على إثر ذلك قام والي غرناطة بالزحف نحو حصن " لبة " ، الذي كان يتحصن فيه جيش ابن مردنيش ، فإقتحمه الموحدون في 9 ذي الحجة 562هـ/1167م ، وشتتوا من بداخله من الجند المسلمين والنصارى<sup>(3)</sup> ، فعزم ابن مردنيش على الرد عليهم ، حيث جهز سرية حربية من النصارى في عام 563هـ/1167م ، ثم أغار على مدينة رندة<sup>(4)</sup> ، فسبوا منها الكثير ، ولما علم والي غرناطة بالأمر وجه له جيشاً إلتقى مع قوات ابن مردنيش<sup>(5)</sup> ، عند وادي آش ، ودارت هناك معركة ضارية ، تفوق على إثرها جيش ابن مردنيش وإتهم الكثير من أعوانه بالتمرد عليه ، فعهد إلى تعذيب بعضهم وقتل البعض الآخر .

وبالتالي ساءت علاقته مع جنوده وأتباعه ، فحتى ابن همشك الذي كان يعتبر الذراع الأيمن لابن مردنيش بادر إلى التخلي عن قائده ، فطلق إبنته وثار عليه أثناء ظرف عصيب باسم الموحدين<sup>(6)</sup> ، و هو ما جعل ابن مردنيش في هذه المرحلة يعول على النصارى الذين كانوا يرتزقون في جيشه ، فأرسل منه حوالي 400 فارس ، وراء ابن همشك ، فطلب هذا الأخير النجدة من الموحدين .

لقد تريت الخليفة في البداية ، و ذلك ريثما يتضح مدى صدق هذا الحليف الجديد<sup>(7)</sup> ، ولما إتضح أمره جهز الخليفة جيشاً من مراكش بقيادة أبو حفص عمر بن يحيى ، ونزل بإشبيلية<sup>(8)</sup> ، حيث إلتقى هناك بجيش ابن همشك لرسم خطة الحرب ضد ابن مردنيش ، وبعدها زحفوا صوب معقله بمرسية في 566هـ /1170م ، وفرضوا عليه حصاراً خانقاً

(1) داود عمر سلامة عبيدات : المرجع السابق، ص : 80.

(2) إبراهيم حركات: المرجع السابق ، ج1 ، ص : 270.

(3) معمر الهادي ومحمد الفرقوطي: المرجع السابق ، ص - ص : 136 - 137.

(4) رندة : هي معقل حصن بالأندلس ، و تقع على نهر قانس بين إشبيلية ومالقة . ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج3،

ص : 367.

(5) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج2، ص : 124.

(6) ابن الأبار : المصدر السابق ، ج2، ص : 389.

(7) داود عمر سلامة عبيدات : المرجع السابق، ص : 82.

(8) عبد الرحمان بن خلدون: كتاب العبر، ج6 ، ص : 321.

دخلت إثره العديد من المدن والأقاليم الشرقية تحت طاعة الموحدين، حيث إستقال من تبعية ابن مردنيش حاكم جزيرة شقر وأهل لورقة<sup>(1)</sup>، وثار عليه كذلك المرية بزعامة ابن عمه أبي عبد الله محمد ابن مردنيش<sup>(2)</sup>. و هو ما أذهل ابن مردنيش وجعله يفقد بعض الأمل في استعادة مكانته، فاختل أمره دون أن يجد حلا لذلك<sup>(3)</sup>، و مما زاد الطين بلة هو أن أبو الحجاج يوسف ابن مردنيش أخو سعد، الذي كان واليا على بلنسية عزم على الدخول تحت طاعة الموحدين، ولحقه في ذلك العديد من قادة الجيوش والنواحي<sup>(4)</sup>، وفي شوال من عام 566هـ/1171م، عزم الخليفة أبو يعقوب يوسف على الخروج إلى ابن مردنيش على رأس جيش يتألف من 100 ألف مقاتل لإنهاء أمره.

ولما وصل جيش الخليفة إلى مشارف مرسية بلغه خبر وفاة ابن مردنيش في رجب 567هـ/ مارس 1172م، وبذلك تم تسليم كافة المعاقل والمدن التي كانت تابعة لسعد إلى الموحدين<sup>(5)</sup>. والجدير بالذكر هو أن ابن مردنيش قبل وفاته بلحظات كان قد طلب من أولاده أن يسلموا بالأمر الواقع، حيث قال لهم: ".... أظن أنه لا طاقة لكم بمقاومتهم - يقصد الموحدين -، فسلموا لهم الأمر إختيار منكم"<sup>(6)</sup>.

(1) لورقة: هي مدينة بالأندلس من أعمال تدمير، وبها حصن ومقل محكم. ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج 5، ص: 25.

(2) داود عمر سلامة عبيدات: المرجع السابق، ص: 83.

(3) ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص: 251.

(4) محمود قديش: نزهة الأناظر في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزواري ومحمد محفوظ، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، مج1، 1988م، ص: 466.

(5) معمر الهادي ومحمد القرطوي: المرجع السابق، ص: 140.

(6) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص: 159.

**المبحث الثالث: التحولات السوسيوولوجية والجيوسياسية لبلادالمغرب أثناء وبعد الصراع  
المطلب الأول: الإنكماش الديمغرافي لمجتمع المغرب الإسلامي :**

لقد كان للصراع المرابطي الموحدى إثر الثورات والتمردات التي حدثت على مستوى بلاد المغرب والأندلس تداعيات من نوع آخر ، لها صبغة لم تكن معهودة من قبل ، بحيث ساهمت في رسم المشهد الأخير الذي يفصل بين مرحلة دفن جثمان الدولة المرابطية وبين مرحلة تشكل معالم الدولة الموحدية ، ولعل أهم هذه التداعيات هي تطبيق مشروع الوحدة الترابية لبلاد للمغرب والأندلس ، على غرار إرساء عقيدة التوحيد الخالص التي جاء بها محمد بن تومرت ، حيث أن الموحدىن حملوا هم توحيد كافة الأقطار المغاربية ، وهو ما يقتضى وجود إنعكاسات أخرى حتمية الحدوث في بلاد المغرب .

ويمكن إجمالها في أن أسلوب القوة والعنفوان الذي إنتهجه الموحدون في ضم القبائل إلى صفهم كان له أثر سلبي عليهم ، حيث إنضمت هذه القبائل تحت تأثير الضغط الدموي وليس الإقناع العقلي والموضوعي<sup>(1)</sup> . وليس أدل على ذلك من ثورة ابن هود الماسي ، الذي تمكن من إستمالة العديد من القبائل إليه . كما خلفت السياسة الإرهابية من طرف الموحدين أثارا أخرى تتعلق بالجانب الديمغرافي ، حيث تشير الدلائل الموضوعية والإحصاءات الواردة في بعض المصادر ، إلى نقص كبير في عدد السكان وضعف نسبة النمو السكاني<sup>(2)</sup> . وذلك كنتيجة طبيعية لمخلفات الحروب والصراعات ، وهو ما يؤثر بالضرورة على قيمة المورد البشري ، الذي يعتبر أساس بناء الإقتصاد والمجتمع ؛ وكمثال على ذلك نذكر ما حصل بالنسبة لمراكش ، حينما تم حصارها من طرف الموحدين لمدة 9 أشهر ، بحيث هلك أناس كثيرون بسبب نفاذ المؤن بالمخازن ، وهلكت بسبب ذلك حتى الدواب التي كانت وسيلة مساعدة لهم في الدفاع عن المدينة ، بالإضافة الى إنقطاع الموارد الغذائية الخارجية<sup>(3)</sup> ، مما يعني توقف نشاط الحركة الإقتصادية ؛ فكان إستسلام المرابطين أمرا محتوما ، و بالتالي وجد عبد المؤمن بن علي الفرصة مناسبة لكي يعمل فيهم السيف . فقتل بذلك عددا رهيبا من سكان المدينة ، حيث تقدره بعض الروايات بحوالي 12 ألفا من الرجال والنساء والأطفال<sup>(4)</sup> ، وهو ما أحدث خلا في التركيبة السوسولوجية للمجتمع البربري في حد ذاته ، ونحن نعني بذلك بروز التفاوت الكبير بين الجنسين بالخصوص ، حيث أن الرجال بحكم أنهم كانوا هم الأعلى نسبة بتواجدهم في وجه هذه السياسة الدموية الموحدية ؛ فإن نسبة الضحايا منهم كانت أعلى من نسبة الجنس الآخر.<sup>(5)</sup>

إن فكل ذلك يجعل مسألة رفض الحكم الموحدية أمرا مستعبد الحدوث من طرف القبائل بشكل عام ، ولعل ما حدث في سنة 544هـ /1149م ، لهو أبلغ دليل على دموية الموحدين ، حيث أن السلطة الموحدية قررت الحكم بالإعدام على أفراد كثيرين من قبائل عديدة ، وذلك وفق سياسة " الإعراف " ، أي الإعراف بطاعة الموحدين ، وهو نفس الأمر

(1) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج 1 ، ص : 271 .

(2) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ج1، ص: 280.

(3) ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق، ج3، ص: 23.

(4) مؤلف مجهول: الحلل السابق ، ص ص 103-104.

(5) عبد الله عنان: المرجع السابق، ج1، ص 280.

الذي حدث على عهد ابن تومرت بخصوص عملية التمييز ، حيث أن كل من يشك في ولائهم يوجب ذلك تصفيتهم ؛ وهم من يصفهم البيدق حسب تعبيره : " أهل التخليط والمعاندين " ، وقد أقر لنا بتفاصيل هذه العملية فيقول : " ... أعدم من قبيلة أزميز خمسمائة وأعدم من رجاجة ثمانمائة ؛ وأعدم من حاجة ثمانمائة ، وأعدم من أهل إيجلي ستمائة ، وأعدم من أهل جزولة مائتان... وأعدم من هسكورة ثمانمائة وأعدم من أهل تادالا خمسمائة ، وقتل من زناتة ستة آلاف ، وقتل من مكانسة مائتان ، ومن فاس ثمانين ، وقتل من أهل برغواطة ستمائة ، وقتل من دكالة ستمائة ، من هيلانة ثمانمائة... " (1).

وقد كان ذلك يتم من طرف أعيان القبائل ، وكان الخليفة عبد المؤمن بن علي يجلس في البرج القائم بأعلى قصره ليشهد مراسيم تنفيذ هذه العملية بنفسه ويشرف عليها ؛ ولم يسلم من هذه المجزرة حتى أعيان قبيلة هرغة المصمودية وأقارب ابن تومرت ، وذلك لظن عبد المؤمن بأنهم يحيكون مؤامرة ضده (2)، كما يعقب البيدق على تقريره السالف الذكر بقوله : " تم الاعتراف بحمد الله وعونه ... فهدأ الله البلاد للموحدين وأعانهم على الحق ونصرهم ، وأقاموا الدين ... وأزال الله ما كان فيها من التخليط... " . وهو ما يعني أن السلطة الموحدية قد فعلت ذلك دون أي استهجان أو شعور بالذنب ، وذلك لأنهم حسب ما يرون ، قد تمت هذه العملية وفق التعليمات والضوابط الشرعية ، ولعل ما زاد هذه الظاهرة إنتشارا وتفاقما هو ما حدث بخصوص إضطرام العديد من التمردات التي برزت بمنطقة السوس ، بحيث إرتدت قبيلة جزولة ولمطة وهسكورة وغيرها على طاعة الموحدين ، فحشد لها عبد المؤمن بن علي جيوشا جرارة خرجت بقيادة أبي حفص ، فتم إخضاع القبائل المنتفضة بعد أن خلفت أحداثا دامية. (3)

كما يمكن القول بأن التقسيم الذي كان يمارسه الموحدون بالخصوص في كل قبيلة يغيرون عليها ، هو منهج مدروس ومعتمد رأته السلطة الموحدية ، يحقق غرضها في كسب ولاء كافة القبائل طوعا أو كرها. (4)

(1) البيدق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص 212.

(2) عبد الله عنان: نفس المرجع ، ج1، ص 287.

(3) البيدق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص : 117.

(4) محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ج1، ص : 276.

### المطلب الثاني: تشكل الدولة الموحدية واستتباب الأمر لعبد المؤمن بن علي :

إن التحرك الذي دعى وسعى إليه الموحدون شرقا وشمالا يعتبر أهم إنعكاس أفرزه الصراع ، ومعلم بارز لتشكل الدولة الموحدية القوية على مستوى هذه الرقعة من بلاد المغرب الإسلامي ، بحيث أن الجيوش الموحدية أخذت تزحف من مراكش نحو الشرق في أواخر سنة 546هـ/1152م ، وخصوصا بعدما تأكدوا بأن الظرف مناسب وضروري في نفس الوقت للتدخل ، فقد كان هناك تبادل للغارات بين 3 أقطاب كانت متمركزة في منطقة المغرب الأدنى وهي الفرنجة والعرب وبني حماد .

فتمكن الموحدون من الإستيلاء على مدينة جزائر بني مزغنة التابعة للكيان الحمادي، وبعدها سيطروا على بجاية ثم على سطيف وقلعة بني حماد ، وكلها تمت في نفس السنة من عام 547هـ/1153م<sup>(1)</sup> . وبعدها تم الإستيلاء على قسنطينة .

ثم سعى عبد الله بن عبد المؤمن<sup>(2)</sup> إلى ضم تونس ، إلا أنها استعصمت عليه، فقرر الخليفة عبد المؤمن أن يخوض هذه العملية بنفسه ، فسار إليها في صفر من عام 554هـ/1159م ، وتمكن من إخضاعها وبعد ذلك توجه عبد المؤمن إلى المهديّة ، بهدف

(1) البيدق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص – ص : 109-111.

(2) محمد ذنون طه : تاريخ المغرب العربي ، ص : 349.

القضاء على القوة النورماندية التي كانت متحصنة بها ، وذلك بعد أن جاءته وفود كثيرة من أهل سوسة وصفاقس وجبل نفوسة و طرابلس الغرب ، تعرض بيعتها له ، فتم حصار المدينة من طرف جيوش الموحدين منذ رجب 554 هـ/1159م ، إلى أن استسلم النصارى وطلبوا الأمان ، بعد عناء كبير وطويل من ويلات الحصار، فدخلها الموحدون في عام 555هـ/ 1160م ، وهو ما إنعكس عنه هجرات كبيرة للعرب الهلالية خصوصا نحو المغرب الأقصى بعد ثورة عرب الأثبج على الوالي عبد الله بن الخليفة عبد المؤمن<sup>(1)</sup> ، وبذلك يكون عبد المؤمن بن علي قد صنع المعجزة وتمكن من الإستيلاء على كافة بلاد المغرب والأندلس وتوحيد أقطارها في إطار كيان سياسي ، ضمن إقليم جغرافي واحد يمثله الموحدون.

هناك مسألة أخرى يمكن ملاحظتها إذ أمعنا النظر في الطريقة التي تولى بها عبد المؤمن بن علي حكم الموحدين ، فالتفصيل في هذه القضية يكمن في أن عبد المؤمن لم يكن هو المرشح الوحيد لخلافة ابن تومرت ، فقد كان هناك مرشحين آخرين أيضا أمثال أبو حفص عمر الهنتاني ، إلا أن عبد المؤمن إستغل ظروفًا معينة ، جعلته يظفر بمنصي الخلافة<sup>(2)</sup> .

ويمكن تفسير هذا الأمر من جانبين ، فمن جانب ، أن عبد المؤمن قد كان يريد فرض نفسه كحاكم ، و يتضح ذلك من خلال إستثماره في العرب الهلالية ، الذين لم يكن لهم أي حضور بارز في نواحي المغرب الأقصى حتى ذلك الوقت ، حيث أن عبد المؤمن من قام باستماتهم واستقدامهم إلى العاصمة مراكش<sup>(3)</sup> . وهذا إنعكاس نظر له عبد المؤمن على أنه مهم لسببين ، فالسبب الأول فهو لأنه أراد أن يدعم بهم نفوذه داخل الوسط السياسي الموحدى ، والسبب الثاني هو بغرض إدماجهم في الجيش الموحدى كي يساعده في القضاء على بقايا المرابطين بالأندلس ، وكذا التصدي لهجمات النصارى ، وإستعادة ما استولوا عليه من مدن أندلسية<sup>(4)</sup> .

(1) محمد ذنون طه : دراسات في تاريخ حضارة المغرب الإسلامي ، ص- ص : 211 - 212.

(2) جورج مارسية: المرجع السابق، ص : 299.

(3) عبد الرحمان الجليلي : المرجع السابق ، ج 2، ص : 36.

(4) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ص : 145.

كما أن الخليفة عبد المؤمن بادر باستدعاء قبيلة كومية ، بغرض أن تستوطن بأحواز العاصمة مراكش لتكثيف هذا الدعم ، وبكل هذه الإجراءات لعبد المؤمن يريد الوصول من خلالها إلى تأسيس النظام الوراثي للسلطة التي تنحصر في آل بيته وهو ما أثبتته قوله وفعله ، ومن جانب آخر فإنه بإمكاننا إعطاء قراءة أخرى لمسألة أولوية عبد المؤمن بن علي لخلافة ابن تومرت ، على الرغم من أنه لا ينتهي إلى العصابة المصمودية ، وهو أن شيوخ المصامدة وأعيانهم هم أنفسهم يقرون بهذه الأولوية على اعتبار أن عبد المؤمن من له ميزات ومؤهلات تجعله يدرء النزاع والفتنة بين قبائل الحلف المصمودي ، ولعل من أبرز هذه الميزات هو كونه يعتبر عنصرا حياديا ، وهذا ما يحقق الغرض المنشود بالنسبة للموحدين.(1)

يمكن القول أنه في الوقت الذي بسط فيه عبد المؤمن سيطرته على قبيلة جدالة وتجريدها من كافة ممتلكاتها ، إستفاد في ذات الوقت من النزاع الذي حدث بين بطني مسوفة ولمتونة ، اللذين يمثلان أساس التركيبة الإجتماعية للتكتل الصنهاجي(2) ، حيث أن أعيان قبيلة مسوفة فرض عليهم الضغط الموحدى التسليم بالأمر الواقع ، وبالتالي منحوهم الولاء، بالإضافة إلى إرتداد العديد من القبائل التي كان لها ولاء مطلق للسلطة المرابطية ، وهي في معظمها خارجة عند نطاق الحلف الصنهاجي(3) ، وبالرغم من الإنتصارات التي حققها القائد المرابطي الروبرتير على الموحدين في بعض المعارك ، وخصوصا بنواحي تلمسان ، إلا أنها كانت محدودة وغير حاسمة ، فقد أنهى أمره الموحدون في المعركة التي جرت بينهم وبينه عام 539هـ/1144م، كما سلفت الإشارة إلى ذلك.(4)

(1) جورج مارسية: المرجع السابق، ص : 299.

(2) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ج1، ص : 245.

(3) ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق، ج4، ص : 103.

(4) محمد ذنون طه وآخرون : تاريخ المغرب العربي، ص : 345.

### المطلب الثالث: إستعادة الإهتمام باللسان البربري وبالمشارب العلمية والفكرية المتنوعة:

لقد ساهم الزعيم الموحي الأول ابن تومرت في وضع بصمته بخصوص المجال الذي يتعلق بالتركيبية الإجتماعية والهوية الثقافية للمجتمع البربري ، حيث أنه عمل على إنماء ما يمكن أن نسميه بروح القومية الأمازيغية والوعي القومي البربري . وذلك من خلال ما خلفه من تأليفات وتصنيفات عديدة في مجال الفقه والعقيدة ، ويتجلى ذلك من خلال كتاب " الموطأ " الخاص به ، وكتاب " أعز ما يطلب " ، بالإضافة إلى الرسائل المختلفة التي كانت تحتوي على تعليمات موجهة إلى مختلف الطبقات الموحدية ، وهو ما يعني أن اللسان البربري قد أصبح له شأن و اعتبار كبير، على خلاف العهد المرابطي المنصرم ، فقد صارت حتى إمامة الناس في المساجد وخطبتهم مشروطة باستعمال اللغة الأمازيغية (1) .

ولعل ما يشهد لنا بتشديد ولاة الأمر الموحدين على هذه المسألة والتأكيد عليها ، هو ما حصل بخصوص عزل خطيب جامع القرويين أبو محمد مهدي بن عيسى ، وتعويضه بالفقيه أبو الحسن بن عطية ، لا شيء إلا لأن هذا الأخير يتقن النطق باللسان البربري على عكس الأول(2)، وإن مما زاد في تكريس هذه القضية هو إزدهار العديد من العلوم والثقافات من أدب وتاريخ وفلسفة وطب ورياضيات ، وكذا إزدياد الإهتمام بالعلوم الطبيعية كعلوم

(1) عبد الرحمان الجلاي : المرجع السابق، ج2، ص 31.

(2) السلاوي : المصدر السابق، ج2، ص 92.

النباتات والجغرافيا و الفلك ، وقد كان التركيز في دراسة هذه العلوم يعتمد على استعمال اللغة الأصلية لأهل المغرب.(1)

وقد كان لشغف الزعيم الموحي ابن تومرت بطلب العلم ، إنعكاس على الحاشية المحيطة به ، وكذا الحكام الذين خلفوه في ترأس الدولة الموحدية ، وهو ما يعني إن الأمراء الموحيين قد جمعوا بين طلب العلم وممارسة السياسة (2)، وبذلك يكونون قد غيروا من مواصفات الحاكم الذي كان يمتلك الدراية السياسية فحسب على عهد الدولة المرابطية ، فأصبح الحكام الموحدون علماء وسياسيين في نفس الوقت . ومن أبرز الشخصيات الموحدية التي إتسمت بحنكة السياسة و غزارة العلم و تنوع الثقافات ، نجد عبد المؤمن بن علي ، هذا الأخير الذي وصفه ابن أبي دينار بقوله: " لقد كان فقيها فصيحا ، عالما بالجدل والأصول، حافظا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم ، مشاركا في علوم كثيرة الدينية منها والدينية، وعلم النجوم واللغة والأدب والتاريخ وعلم القراءات " (3).

(1) داود عمر سلامة عبيدات : المرجع السابق، ص 209.

(2) عبد المجيد النجار : المهدي بن تومرت، ص 282.

(3) ابن أبي دينار : المصدر السابق، ص : 106.

## خاتمة

- إن أي صراع ينشب بين طرفين - سواء أكانا الطرفان شخصان أم جماعتان أم مذهبان - ، هو بالأساس يمثل صراعا يتمحور حول فكرتين ، صراع من أجل الوجود وصراع من أجل البقاء . فالطرف القائم يصارع من أجل الحفاظ على مكانته ومكتسباته ، و الطرف القاعد يصارع من أجل أن يصبح قائما . وقد خلصنا في عملنا هذا إلى عدة استنتاجات تفصيلية يمكن أن نصوغها فيما يلي :
- من خلال دراستنا لخلفيات الصراع يمكننا القول بأنها لم تكن كلها خلفيات مباشرة وحقيقية و إنما امتزجت بمنطلقات ومبررات وهمية مفتعلة استخدمها ابن تومرت لتحقيق هدفه .
  - إن الرحلة العلمية التي قام بها ابن تومرت نحو المشرق ، كان لها تأثير كبير على قناعاته الفكرية و العقدية ، حيث أنه تشرب العديد من المذاهب التي كانت منتشرة هناك ، وهذا بغض النظر عن كونه أخذها عن قناعة تلقائية أو بغرض توظيفها في مشروعه الثوري .
  - لقد تمثل برنامج ابن تومرت الذي يهدف إلى إسقاط الحكم المرابطي و إقامة سلطة موحدية تحكم بلاد المغرب - في عدة خطوات إجرائية اتخذها ابن تومرت ، تمثلت أولاها في عملية التكوين الفكري و الثقافي لشخصه .
- كما اعتمد كذلك على البعد المصمودي ، وكذا تطبيقه لفكرة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر بعد عودته من المشرق . ثم ادعى المهودية و العصمة و النسب الشريف . ولم فكرته ، كما لجأ ابن تومرت إلى مناظرة المرابطين ، وبعدها عمل على هجائهم و تهديدهم من خلال خلع البيعة عنهم و هو ما يعنى حسب رأينا أن ابن تومرت لم يكن مصلحا دينيا كما ادعى في البداية ، و إنما هو ثائر سياسي .
- إن المرابطين في المقابل لم يتوانوا بدورهم في الرد على ابن تومرت وذلك من خلال الحملة الدعائية التي استخدموها ضده للتقليل من شأنه و التشكيك في فكره و عقائده ، وهذا بغرض تهيج العامة عليه و انتفاض أتباعه من حوله ، و عززوا ذلك أيضا بحملاتهم العسكرية ضده ، إلا أنهم فشلوا في تحقيق هدفهم بكبت حركته .
  - أن محاولة تقييمنا لأداء - ابن تومرت في صراعه مع المرابطين باعتباره المتسبب في إثارة الصراع - يقتضى القول بأنه لم يستطع تحقيق هدفه الأسمى في إسقاط المرابطين و قيام أمر الموحدين ، إلا أن ذلك لا يعدم أن حقق أهداف أخرى جزئية يمكن توضيحها في ما يلي :
  - أولا : لقد ساهم ابن تومرت في شل حركة الدولة المرابطية بشكل عام ، ولعل ذلك يعود إلى انشغال الأمير على بن يوسف في جهاد النصارى بشمال الأندلس ، وهو ما يعنى بالنسبة للطرف المرابطي أن ظهور حركة ابن تومرت في شل حركة الدولة المرابطية بشكل عام ، و لعل ذلك يعود إلى انشغال الأمير المرابطي علي بن يوسف في جهاد النصارى بشمال الأندلس ، وهو ما يعنى بالنسبة للطرف المرابطي أن ظهور حركة ابن تومرت في هذا التوقيت قد زاد الطين بلة . وعلى الرغم من تفوق المرابطين عسكريا وتنظيما إلا أن ابن تومرت استغل عدة ظروف يمكن اعتبارها ثغرات و نقاط ضعف في جسم الدولة المرابطية . كما أنه كان يمتلك الحنكة السياسية و العسكرية التي مكنته من رسم خطة حربية بارعة و محكمة ، يمكننا أن نعتبرها نقاط قوة في برنامج ابن تومرت .
  - ثانيا : لقد تمكن محمد بن تومرت من تكوين رجال يخلفونه ويسيروا على نهجه ، على اعتبار أن صناعة الرجال هي أهم الخطوات العملية التي تخدم مشروع الثورة ، ولعل أبرز دليل على الكفاءة العالية التي اتسم بها خلفاء ابن تومرت هو وجود رجال أمثال البشير الونشريسي و عبد المؤمن بن علي الكومي .
  - ثالثا : لقد ساهم ابن تومرت في تحقيق نتائج إيجابية مباشرة لصالحه ، تكمن أهمها في تحقيقه لبعض الأسس التي كانت من الأهمية بمكان لقيام الدولة ، وذلك من خلال الأقاليم القبلية التي تمكن من ضمها ، و الانتصارات العسكرية العديدة التي حققها على المرابطين ، وكذا المبادئ و الأفكار التي غرسها في أتباعه ، بحيث جعلهم يتعلقون به إلى أبعد الحدود .

- و هذا ما يعني أن مهدي الموحدين ابن تومرت قد قطع شوطا كبيرا في سبيل قيام الدولة الموحدية ، وتمكن من الصمود لمدة عقد من الزمن ، إلى أن وافاه الأجل .
- يمكن القول بأن الثورات و الحركات الاستقلالية التي ظهرت بالأندلس على وجه الخصوص ، قد اشتعلت في ظرف جد مناسب ، و الذي يتمثل في انشغال المرابطين بالتصدي للهجمات الموحدية ، وهو ما استغله كذلك نصارى الشمال لتكثيف هجماتهم على المدن الأندلسية ، بغرض الاستيلاء عليها .
  - إذا تأملنا في المدة التي استغرقها الصراع بين المرابطين والموحدين ، فإننا نخرج بنتيجة مفادها أن الصراع كان طويل المدى إلى حد ما ، و هو ما يعكس لنا إصرار الموحدين في الوصول إلى الهدف ، و صمود المرابطين في وجههم . و بذلك يتحقق التوازن في القوى ، و بالتالي يطول زمن الصراع دون حسم لأي طرف .
  - لقد كان بالإمكان حسب اعتقادنا أن لا يكون للحركة الموحدية أي شأن ، و لا أثر على واقع بلاد المغرب والأندلس ، لولا تسامح المرابطين في البداية مع ابن تومرت ، و تهاونهم في التعامل مع تحركاته بحزم وجدية .
- و إننا في الأخير إلا حاولنا الخروج بتعليق عام حول ما آل إليه الصراع في نهاية المطاف بسقوط حكم المرابطين و قيام دولة الموحدين ، فإنه يمكننا القول بأن سنة الأيام التي تجعل الأحوال دول ، لم تكن لتخطئ الكيان السياسي الذي أسسه الصنهاجيون ، و الحركة الموحدية التي سعى إلى تدويلها المصامدة .

## قائمة الملاحق:

- الملحق (01): رسالة وجهها علي بن يوسف إلى قاداته وجنده ببلنسية عقب هزيمتهم أمام ألفونسو المحارب.
- الملحق (02): خريطة توضح توزيع قبائل البربر.
- الملحق (03): قبائل المصامدة بجبال درن.
- الملحق (04): صورة لجامع المهدي بن تومرت بتينملل.
- الملحق (05): صيغة التوحيد التي وضعها ابن تومرت.
- الملحق (06): خريطة لتوزيع القبائل المغربية عند بداية الدولة الموحدية.
- الملحق (07): خريطة لغزوات عبد المؤمن بن علي الكبرى.
- الملحق (08): مخطط حول العلاقة بين المرينيين.
- الملحق (09): مواقع حروب النصارى والمرابطين في الأندلس.

## أولاً: المصادر:

1. القرآن الكريم.
2. ابن الخطيب أبو عبد الله محمد بن عبد الله الغرناطي: أعمال الأعلام فيما بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، القسم الثاني نشر بعنوان: تاريخ إسبانيا الإسلامية، تح: ليفي بروفنسال، ط2، بيروت، دار المكشوف، 1956م.
3. الغزالي أبو حامد محمد بن محمد الطوسي: إجماع العوام عن علم الكلام، ضمن مجموعة من رسائله، بيروت، دار الكتب العلمية، 1986.
4. الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد التركماني الدمشقي: العبر في خبر من غير: تح محمد السعيد زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، 1985.
5. الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد التركماني الدمشقي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، ج36، 1994.
6. الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد التركماني الدمشقي: سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1985.
7. الصنهاجي أبو بكر المكنى بالبيدق: كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تح: عبد الوهاب بن منصور، الرباط، دار المنصور، 1971.
8. ابن الآبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البننسي: الحلة السيرة، تح: حسين مؤنس، القاهرة، الشركة العربية للنشر، 1963.
9. ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمد الشيباني الجزري: الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، ط6، 1995.
10. ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادي: صفة الصفوة، تح: محمود فاخوري، بيروت، دار المعرفة، ط4، 1986.
11. ابن الخطيب أبو عبد الله محمد بن عبد الله الغرناطي: الإحاطة في أخبار غرناطة: تح: محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1974.
12. ابن العربي: سراج المريدين في سبيل المهتدين، مصر، دار الكتب المصرية، (د.ط.)، (د.ت.).
13. ابن القطان أبو محمد حسن بن علي الكتامي: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1990.
14. ابن القلانسي أبو يعلى حمزة بن أسد التميمي الدمشقي: ذيل تاريخ دمشق، تح: سهيل ركاز، دمشق، دار حسان، 1983.
15. ابن تومرت، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الهرغي السوسي: أعز ما يطلب، تح: عمار طالبي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.

16. ابن حزم أبو محمد علي بن احمد الفارسي القرطبي: الفصل في الملل والأهواء والنحل، بيروت، دار الفكر، 1980.
17. ابن دحية أبو الخطاب عمر بن حسن الكلبي السبتي: المطرب من أشعار أهل المغرب، تح: إبراهيم الأبياري وآخرون، بيروت، دار العلم للجميع، 1955.
18. ابن غازي أبو عبد الله محمد بن أحمد الكتامي المكناسي: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تح: عبد الوهاب بن منصور، الرباط، المطبعة الملكية، ط2، 1988.
19. الأتاباكي جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغرى بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تق وتع: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، 1992.
20. الإشبيلي أبو نصر الفتح بن محمد القيسي بن خاقان: قلائد في محاسن الأعيان، تق: محمد العناني، تونس، 1966.
21. التلمساني أحمد بن محمد المعري: نوح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، (د.ط.)، 1988.
22. الجزنائي، أبو الحسن علي الفاسي: زهرة الأس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب بن منظور، الرباط، المطبعة الملكية، ط2، 1991.
23. الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد التركماني الدمشقي: تذكرة الحفاظ، نشر بعناية: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، بيروت، دار الكتب، (د.ط.)، (د.ت.).
24. الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضور، ط2، تونس، المكتبة العتيقية، 1966.
25. السبكي أبو نصر عبد الوهاب بن علي: طبقات الشافعية الكبرى، نشر: أحمد بن عبد الكريم القادري الحسني، القاهرة، المطبعة الحسينية، 1903.
26. السلاوي أحمد بن خالد الناصري: الاستقصاء في دول المغرب الأقصى، تح: محمد عثمان، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ط.)، (د.ت.)، ج2.
27. الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، نشر: أحمد فهمي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت.).
28. الصنهاجي أبو بكر المكنى بالبيدق: أخبار المهدي بن توموت وبداية دولة الموحدين، تح: عبد الحميد حاجيات، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، 1986.
29. الضبي أبو جعفر احمد بن يحيى اللورقي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح: روحية عبد الرحمن السويفي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997.
30. الغزالي أبو حامد محمد بن محمد الطوسي: إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة، (د.ت.).

31. الفاسي ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس:، تح: عبد الوهاب بن منصور، الرابط، دار المنصور، 1973.
32. القسنطيني أبو العباس أحمد بن حسين بن علي ابن قنفذ: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تق وتح: محمد الشاذلي التيفرو وعبد الحميد التركي، تونس، دار التونسية للنشر، (د.ط)، 1968.
33. القلقشدي أبو العباس: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة، المطبعة الأميرية، ج5، 1914.
34. القيرواني ابن أبي دينار أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم: المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، بيروت، دار المسيرة، ط3، 1993.
35. مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، دار الرشد الحديثة، 1979.
36. مؤلف مجهول: مفاخر البربر، تح: محمد يعلى، منشورات المجلس الأعلى للأبحاث، مدريد، 1996.
37. المراكشي بن غداري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، قسم الموحدين، 1985.
38. المراكشي عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تق وتح وتع: محمد زينهم محمد عزي، دار الفرجاني، (د.ط)، 1994.
39. النويري أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب التميمي: نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: مصطفى أبو ضيف أحمد، نشره بعنوان: تاريخ المغرب العربي الإسلامي في العصر الوسيط، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، 1985.
40. اليافعي أبو محمد عبد الله بن أسعد اليمني المكي: مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر به من حوادث الزمان، ط2، بيروت، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، 1970.

## ثانيا: المراجع:

1. ابن دعية: المطرب في أشعار أهل المغرب ، تح ابراهيم الأبياري وآخرون، بيروت، دار العلم، (د.ط)، 1955
2. إدريس الهادي روجي: الدولة الصنهاجية تاريخ أفريقية في عهد زيري من القرن 10 م على القرن 12 م، تر: حمادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي ، ط1، ج1، 1992،
3. أشباخ يوسف: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تر و تع : محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط2 ، ج 1 ، 1996م
4. أشباخ يوسف: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين ، تر : محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط2، ج1، 1996
5. إميل توما : الحركات الإجتماعية في الإسلام ، بيروت ، دار الغرب ، (د. ط) ، 1980م
6. بدوي عبد الرحمان : تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى النهاية القرن الثاني ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، ط2 ، 1978 م
7. برفنسال ليفي: مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية ، الرباط، المطبعة الاقتصادية، 1941م
8. بن قربة صالح: عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب ، (د . م)، سحب الطباعة الشعبية للجيش،(د . ط)، 2007م
9. بوتشيش إبراهيم القادري: مباحث في التاريخ الإجتماعي للمغرب و الأندلس خلال عصر المرابطين ، بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط1 ، 1998 م
10. بوربية رشيد وآخرون: الجزائر في التاريخ – العهد الاسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني ، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، (د.ط)، 1984م
11. بوعزيز يحي: الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، (د . ط) ، ج 1 ، 2007 م
12. بولطيف لخضر محمد: فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الاسلامي، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، فرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 2009،
13. بونار رابح:المغرب العربي تاريخه وثقافته ، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،(د.ط)، 1968م
14. بيل الفريد: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم ، تر: عبد الرحمان بدوي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي، ط2 ، 1981م
15. جنثالت بالنثيا أنجل : تاريخ الفكر الأندلسي ، تع : حسين مؤسس ، القاهرة ، مكتبة الثقافة ، (د ، ط) ، 1955 م

16. جوليان شارل أندري : تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس ، الجزائر، المغرب الأقصى ، من الفتح الإسلامي سنة 1830م ، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة ، تونس ، دار التونسية للنشر، (د،ط) ، ج2 ، 1979 م
17. الجيدي عمر:مباحث في المذهب المالكي بالمغرب ، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة ، ط1 ، 1993 م ،
18. حاجيات عبد الحميد : تاريخ الجزائر في العصر الوسيط ، ( د . م ) ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، 2007م
19. حركات إبراهيم: المغرب العربي عبر التاريخ ، الدار البيضاء ، دار الرشاد الحديث ، (د. ط) ، ج1، (د.ب)
20. حلاق حسان : دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية ، بيروت، دار النهضة العربية، ط2، 1999،
21. دبوزورت جوزيف شاخت وكليفورد: تراث الإسلام ، تر: حسين مؤنس وإحساس صدقي العهد ، مر: فؤاد زكرياء ، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ط3 ، ج2، 1998
22. دندش عصمت عبد اللطيف: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحديين عصر الطوائف الثاني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1988م
23. سالم السيد عبد العزيز: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، (د.ط) ، 2008
24. سعد الله علي : الدولة في الفكر الخلدوني ، دار محب لاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1، 2003 م ،
25. السيد محمود: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، (د،ط) ، 2004م
26. شبارو عصام محمد: الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود (91 هـ - 897 هـ ) ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ( د . ط ) ، 2002 م
27. الصلابي علي محمد: صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحدين)، عمان، دار البيارق، د.ط، 1998، ج5
28. الصلابي علي محمد: فقه التمكين عند دولة المرابطين ، القاهرة ، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2006م
29. الطيبي أحمد توفيق: دراسات و بحوث في تاريخ المغرب والأندلس، طرابلس ، الدار العربية للكتاب ، ط1 ، 1984
30. عبد الحميد سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، الإسكندرية، منشأة المعارف ، (د.ط) ، ج5 ، 2000

31. عبد الواحد ذنون طه: دراسات في تاريخ وحضارات المغرب الاسلامي، بنغازي، ليبيا، دار الكتب الوطنية، ط1، 2004م،
32. عبد محمد سوادى و الحاج صالح عمار : دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ، القاهرة ، المكتب المصري ، ط1، 2004م
33. عبيدات داود عمر سلامة: الموحدون في الأندلس، الأردن، دار الكتاب الثقافي ، (د.ط)، 2005م
34. العروى عبد الله : مجمل تاريخ المغرب ، بيروت ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، ج2 ، 1994م
35. علام عبد الله علي: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد المؤمن بن علي، مصر، دار المعارف، (د.ط)، 1971،
36. علي الإدريسي : الإمامة عند بن تومرت ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ( د . ط ) ، 1991 ،
37. علي بدوي يوسف: عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط، الجزائر، دار الاصاله، ط1، 2010م،
38. عنان عبد الكريم غلاب : قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط 2 ، ج 2 ، 2005 م
39. عنان محمد عبد الله : دولة الإسلام في الأندلس ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط3 ، ج 1 ، 1990 م ،
40. فتحي ثابت عادل: شرعية السلطة في الإسلام، الإسكندرية ، دار الجامعة الجديدة ، (د. ط) ، 1996
41. فروخ عمر: تاريخ الأدب العربي في المغرب و الأندلس عصر المرابطين والموحدين ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط1 ، ج5 ، 1982 م ،
42. الفقي عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ المغرب والأندلس ، القاهرة ، مكتبة نهضة الشرق ، (د.ط) ، (د.ت)
43. قديش محمود: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح : علي الزواري ومحمد محفوظ ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط1، مج1، 1988م
44. لقاهرة ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، ط 1 ، ج 2 ، 2008م
45. مؤنس حسين: معالم تاريخ المغرب والأندلس، (د.م) ، مكتبة الأسرة، (د . ط) ، 2004م
46. مارسية جورج: بلاد المغرب و علاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى ، تر: محمود عبد الصمد هيكل، مر : مصطفى أبو ضيف أحمد ، الإسكندرية، (د.د) ، (د.ط)، 1999م

47. متولي أحمد مصطفى: بداية الأيام ونهاية الزمان في تاريخ الإسلام ، مر : عبد الواحد بن محمد ببيصار ، ا
48. مجاني بوبه وآخرون: التيارات السياسية والدينية وتأثيرها على نظم الحكم في بلاد المغرب والأندلس ، الجزائر، منشوات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث ، (د.ط) ، 2007م
49. محمد بن عمرو الطمار: تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د.ط)، 1984.
50. محمد حسين حمدي عبد المنعم: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، 1998
51. محمود إسماعيل : فكرة التاريخ بين الإسلام والماركسية ، القاهرة ، (د . ط) ، 1988م
52. المطوي محمد العروسي: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط2، 1982،
53. المعموري الطاهر: الغزالي وعلماء المغرب، تونس، الدار التونسية للنشر، 1990
54. موسى عز الدين: النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي، القاهرة، دار الشروق، 1983
55. النجار عبد المجيد: الإجهاد عند المهدي بن تومرت ضمن كتابه فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي، 1992
56. النجار عبد المجيد: المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسني، حياته وآراؤه وثورته الفكرية والإجتماعية وأثره بالمغرب ، بيروت، دار الغرب الإسلامي ، ط1، 1983
57. النجار عبد المجيد: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت ، فرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، (د.ط) ، 1995م،
58. نصر الله سعدون: تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة (20- 798هـ/640-1492م) ، بيروت، دار النهضة العربية ، ط1، 2003م
59. الهادي معمر والقرقوتي محمد: جهاد الموحدين في بلاد الأندلس، بوزريعة، الجزائر، دار هومة، (د.ط)، 2005

### ثالثا: المعاجم:

1. ابن فرحون أبو الوفاء إبراهيم بن علي اليعمري المدني: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تح: مأمون بن محي الدين الجنان، بيروت، دار الكتب العلمية، 1996م.

2. الإدريسي أبو عبد الله محمد الحسن السبتي: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تح: إسماعيل العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجماعية، 1983
  3. الأسيوطي أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر المصري: طبقات المفسرين، تح: علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة وهبة، 1976.
  4. الإشبيلي أبو نصر الفتح بن محمد القسي بن خاقان: قلائد العقيان في محاسن الأعيان، تق: محمد العناني، تونس، (د.د)، (د.ط)، 1966.
  5. الاصطخري إبراهيم بن محمد الفارسي: المسالك والممالك، تح: محمد جابر عبد العالي، مر: محمد شفيق غربال، مصر، دار القلم، 1961.
  6. البغدادى أبي عبد الله ياقوت شهاب الدين بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، (د.ط)، 1988.
  7. البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز: المغرب في بلاد إفريقيا والمغرب، تح: البارون دوسلان، الجزائر، مطبعة الحكومة، 1957.
  8. التجاني أبو محمد عبد الله بن محمد: رحلة التجاني، تق: حسين حسني عبد الوهاب، تونس، الدار العربية للكتاب، (د.ط)، 1980.
  9. الذهبي شمس الدين بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1985.
  10. الزركلي خير الدين: الأعلام قاموس للأشهى الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، بيروت، دار العلم للملايين، (د.ط)، 1995.
  11. السبتي القاضي عياض بن موسى: تدريب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح: أحمد بكير محمود، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1968.
  12. كربخال مارمول: إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، الرباط، دار مكتبة المعارف، (د.ط)، ج2، 1989.
  13. مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول عبد الحميد، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط2، 1986.
  14. مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس: تر وتح: لويس مولينا، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، (د.ط)، ج1، 1983.
  15. الوزان الحسن ابن محمد الفاسي: وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1983.
- اليقوبي احمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب: البلدان، وضع حواشيه: محمد أمين ضناوي، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 2002.

رابعاً: الموسوعات:

1. الزناتي أنور محمود: موسوعة تاريخ العرب والمسلمين منذ ظهور الإسلام وحتى العصر المعاصر، ج2.
2. خورشيد إبراهيم وآخرون: دائرة المعارف الإسلامية، القاهرة، الشعب، ط2، 1969.

#### خامسا: المجلات:

1. مجلة المناهل: (دراسة حول رسائل ابن العربي)، العدد 9، السنة الرابعة، 1977، ص 160.
2. محمد زنيبر: (الخلفية الاجتماعية والثقافية لحركة المهدي ابن تومرت)، مجلة المناهل، (الرباط)، عدد 24 (1982)، ص ص 107-140.
3. جوزيف شاخت وكليفورد بوزورث: تراث الإسلام، تر: حسين مؤنس وإحسان صدقي العهد، مر: فؤاد زكرياء، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط3، ج2، 1998.

#### سادسا: المراجع بلغتها الأصلية:

**Goldziher, Ignas : mohammed Ibn Toumert et theologie de l'Islam dans le nord l'alfrique au XI<sup>e</sup> secles, alger : imprimerie , orientale Pierre fontana, 1903,**

## فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
أ - ب - ج	مقدمة
02	دور فكر محمد بن تومرت في التغيير
02	محمد بن تومرت و تأثير البيئة العلمية في بلورة فكره الثوري
13	قراءة في فكر المرابطين والموحدين
13	الحياة الفكرة والعلمية في دولة المرابطين
23	الخلفيات والمنطلقات العامة للتغيير عند ابن تومرت
23	الخلفيات السياسية والعسكرية
29	الخلفيات الاقتصادية والاجتماعية
32	الخلفيات الدينية والثقافية
38	آليات الصراع السلمي
38	المناظرات والحرب الدعائية
45	من مرحلة جمع الأنصار إلى البيعة
54	مرحلة الصراع العسكري
54	الصراع العسكري في عهد محمد بن تومرت
63	الصراع العسكري في عهد عبد المؤمن بن علي
77	الثورات التي اندلعت في وجه المرابطين وازدياد هجمات النصارى
77	ثورة المرينيين
81	ثورة الفقهاء بالأندلس
86	ازدياد هجمات النصارى على الأندلس وسقوط بعض المدن
91	ظهور القوى المناوئة للموحدين
91	ثورة ابن هود الماسي وقاضي سبتة
93	ثورة ابن مردنيش وابن همشك
100	التحولات السوسولوجية والجيوسياسية لبلاد المغرب أثناء وبعد الصراع
100	الانكماش الديمغرافي لمجتمع المغرب الإسلامي
103	تشكل الدولة الموحدية واستتباب الأمر لعبد المؤمن بن علي
106	استعادة الاهتمام باللسان البربري وبالمشارب العلمية والفكرية المتنوعة
110	خاتمة
113	ملاحق
125	قائمة المصادر والمراجع
134	فهرس المحتويات